

الشيخ الإمام داعية الإسلام  
عبد المولى الشيخ عيسى

# التوبة

عربي

نال شرف إعداده ودرجته

مركز التراث الإسلامي في الكويت

مكتبة التراث الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة  
للمنشر

الطبعة الأولى  
جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ - يوليو ٢٠٠١ م



مكتبة التراث الإسلامي

8 شارع الجمهورية عابدين القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١١٥١٠ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي I.S.B.N. 8 - 245 - 260 - 977

Email: [abdallahaggag@hotmail.com](mailto:abdallahaggag@hotmail.com)

3913406 فاكس: 3925677 - 3911397 Islamic Turath Book Shop

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [ غافر : ٣ ] .

وصلّى اللّهُمّ وسلّم على سيدنا محمد نبي التوبة <sup>(١)</sup> وعلى آله وأزواجه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .. ثم أما بعد :  
 روى عن الأغرّ المزنيّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم قَالَ : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي . وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً » <sup>(٢)</sup> .

وعن أبي بُرْدَةَ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَغْرَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أَيُّهَا

(١) ورد هذا الاسم في حديث مسلم [ ١٦٦٠ ] وفي حديث أبي داود [ ٥١٦٥ ] . قال صاحب تحفة الأحوذى : قال في مجمع البحار : نبي التوبة لأنه تواب يستغفر كل يوم سبعين ، أو مائة ؛ وقال فيه أيضاً : نبي التوبة والرحم ؛ أي : جاء بقبولها بالقول والاعتقاد ، لا يقتل الأنفس ، وجاء بالتراحم نحو : ﴿ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ ﴾ [ الفتح : ٢٩ ] أھـ .

(٢) أخرجه مسلم [ ٤١/٢٧٠٢ ] .

النَّاسُ تُؤْبُوا إِلَى اللَّهِ . فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » (١) .  
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ  
أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ » (٢) .

قال الإمام النووي : قوله ﷺ : « إنه ليغان على قلبي وإني  
لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » قال أهل اللغة : الغين بالغين  
المعجمة والغيم بمعنى والمراد هنا ما يتغشى القلب .

قال القاضي : قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي  
كان شأنه الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عَدَّ ذلك ذنباً  
واستغفر منه .

قال : وقيل هو همه بسبب أمته وما اطلَّع عليه من أحوالها  
بعده ، فيستغفر لهم .

وقيل : سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم  
ومحاربة العدو ومداراته ، وتأليف المؤلفة ، ونحو ذلك فيشتغل  
بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنباً بالنسبة إلى عظيم منزلته وإن  
كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال فهي

---

(١) أخرجه مسلم [٤٢/٢٧٠٢] .

(٢) أخرجه مسلم [٤٣/٢٧٠٣] .

نزول عن عالي درجته ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما سواه فيستغفر لذلك .

وقيل : يحتمل أن هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه لقوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ ويكون استغفاره إظهارا للعبودية والافتقار وملازمة الخشوع وشكرا لما أولاه .  
وقد قال المحاشي : خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى .

وقيل : يحتمل أن هذا الغين حال خشية وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما سبق ، وقيل : هو شيء يعترى القلوب الصافية مما تتحدث به النفس فهو شها .

قوله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنني أتوب في اليوم مائة مرة » هذا الأمر بالتوبة موافق لقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور : ٣١] وقوله تعالى : ﴿ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [التحريم : ٨] .

والتوبة أهم قواعد الإسلام وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة . قوله ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من

مغربها تاب الله عليه » قال العلماء : هذا حد لقبول التوبة وقد جاء في الحديث الصحيح : « إن للتوبة باباً مفتوحاً فلا تزال مقبولة حتى يغلق فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق وامتنعت التوبة على من لم يكن تاب قبل ذلك » <sup>(١)</sup> وهو معنى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ . ومعنى تاب الله عليه : قبل توبته ورضي بها .

وللتوبة شرط آخر وهو أن يتوب قبل الغرغرة كما جاء في الحديث الصحيح وأما في حالة الغرغرة وهي حالة النزح فلا تقبل توبته ولا غيرها ، ولا تنفذ وصيته ولا غيرها .

---

(١) روى الترمذى [٣٥٣٥] وابن ماجه [٤٠٧٠] عن صفوان ابن عسال رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً عرضه سبعون سنة ، فلا يزال ذلك الباب مفتوحاً للتوبة ، حتى تطلع الشمس من نحوه فإذا طلعت من نحوه ، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » . وحسنه الألبانى .

وقال الحافظ في الفتح : التوبة ترك الذنب على أحد الأوجه .  
وفي الشرع ترك الذنب لقبحه ، والندم على فعله ، والعزم على  
عدم العود ، ورد المظلمة إن كانت ، أو طلب البراءة من  
صاحبها وهي أبلغ ضروب الاعتذار ؛ لأن المعتذر إما أن يقول :  
لا أفعل ، فلا يقع الموقع عند من اعتذر له لقيام احتمال أنه فعل  
لا سيما إن ثبت ذلك عنده عنه ، أو يقول : فعلت لأجل كذا  
ويذكر شيئا يقيم عذره وهو فوق الأول ، أو يقول : فعلت  
ولكن أسأت وقد أقلعت وهذا أعلاه . انتهى من كلام الراغب .  
وقال : القرطبي في المفهم : اختلفت عبارات المشايخ فيها  
فقائل يقول إنها الندم ، وآخر يقول : إنها العزم على أن لا يعود ،  
 وآخر يقول : الإقلاع عن الذنب ، ومنهم من يجمع بين الأمور  
الثلاثة وهو أكملها غير أنه مع ما فيه غير مانع ولا جامع .  
أما أولا : فلأنه قد يجمع الثلاثة ولا يكون تائبا شرعا إذ قد  
يفعل ذلك شحاً على ماله أو لئلا يُعَيِّرَهُ الناس به ولا تصح  
التوبة الشرعية إلا بالإخلاص ، ومن ترك الذنب لغير الله لا  
يكون تائبا اتفاقا .

وأما ثانيا : فلأنه يخرج منه من زنى مثلا ثم جُبَّ ذُكْرُهُ فإنه لا يتأتى منه غير الندم على ما مضى ، وأما العزم على عدم العود فلا يتصور منه ، قال : وبهذا اغتر من قال : إن الندم يكفي في حد التوبة ، وليس كما قال ؛ لأنه لو ندم ولم يقطع وعزم على العود لم يكن تائبا اتفاقا ، قال : وقال بعض المحققين : هي اختيار ترك ذنب سبق حقيقة أو تقديرا لأجل الله قال : وهذا أسدُّ العبارات وأجمعها لأن التائب لا يكون تاركا للذنب الذي فرغ لأنه غير متمكن من عينه لا تركا ولا فعلا ، وإنما هو متمكن من مثله حقيقة ، وكذا من لم يقع منه ذنب إنما يصح منه اتقاء ما يمكن أن يقع لا ترك مثل ما وقع فيكون متقيا لا تائبا ، قال : والباعث على هذا تنبيه إلهي لمن أراد سعادته لقبح الذنب وضرره ؛ لأنه سم مهلك يُفَوِّتُ على الإنسان سعادة الدنيا والآخرة ويحجبه عن معرفة الله تعالى في الدنيا ، وعن تقريره في الآخرة .

قال : ومن تفقد نفسه وجدها مشحونة بهذا السم فإذا وفق انبعث منه خوف هجوم الهلاك عليه ، فيبادر بطلب ما يدفع



به عن نفسه ضرر ذلك ، فحيثئذ ينبعث منه الندم على ما سبق  
والعزم على ترك العود عليه . قال : ثم اعلم أن التوبة إما من  
الكفر وإما من الذنب ، فتوبة الكافر : مقبولة قطعاً وتوبة  
العاصي : مقبولة بالوعد الصادق ، ومعنى القبول : الخلاص  
من ضرر الذنوب حتى يرجع كمن لم يعمل .

ثم توبة العاصي إما من حق الله وإما من حق غيره ، فحق  
الله تعالى يكفي في التوبة منه الترك على ما تقدم ، غير أن منه  
ما لم يكتف الشرع فيه بالترك فقط بل أضاف إليه القضاء أو  
الكفارة وحق غير الله يحتاج إلى إيصالها لمستحقها وإلا لم  
يحصل الخلاص من ضرر ذلك الذنب ، لكن من لم يقدر  
على الإيصال بعد هذه الوسع في ذلك فعفو الله مأمول فإنه  
يضمن التبعات ويبدل السيئات حسنات . والله أعلم .

قلت : حكى غيره عن عبد الله بن المبارك في شروط التوبة  
زيادة فقال : الندم والعزم على عدم العود ورؤ المظلمة وأداء ما  
ضَيَّعَ من الفرائض ، وأن يعمد إلى البدن الذي ربَّاه بالسحت  
فيذيه بالهم والحزن حتى ينشأ له لحم طيب ، وأن يذيق نفسه

ألم الطاعة كما أذاقها لذة المعصية . قلت : وبعض هذه الأشياء مكملات . وقد تمسك من فسر التوبة بالندم بما رواه أحمد وابن ماجه وغيرهما من حديث ابن مسعود رفعه : « الندم توبة » <sup>(١)</sup> ولا حجة فيه لأن المعنى : الخس عليه وأنه الركن الأعظم في التوبة ، لا أنه التوبة نفسها ، وما يؤيد اشتراط كونها لله تعالى وجود الندم على الفعل ولا يستلزم الإقلاع عن أصل تلك المعصية ، كمن قتل ولده ، مثلاً وندم لكونه ولده وكمن بذل مالا في معصية ثم ندم على نقص ذلك المال مما عنده . واحتج من شرط في صحة التوبة من حقوق العباد أن يردَّ تلك المظلمة بأن من غضب أمةً فزنى بها لا تصح توبته إلا يردّها لمالكها ، وأن من قتل نفساً عمداً لا تصح توبته إلا بتمكين نفسه من ولي الدم ليقص أو يعفو . قلت : وهذا من جهة التوبة من الغضب ومن حق المقتول

---

(١) رواه أحمد في المسند [٣٧٦/١] وابن ماجه [٤٢٥٢] .  
وصححه الألباني .

واضح ، ولكن يمكن أن تصح التوبة من العود إلى الزنا وإن استمرت الأمة في يده ومن العود إلى القتل وإن لم يُمَكَّن من نفسه . وزاد بعض من أدركناه في شروط التوبة أموراً أخرى: منها أن يفارق موضع المعصية ، وأن لا يصل في آخر عمره إلى الغرعة ، وأن لا تطبع الشمس من معربها ، وأن لا يعود إلى ذلك الذنب ، فإن عاد إليه يأن أن توبته باطلة .

قلت : والأول مستحب ، والثاني والثالث داخِلان في حد التكليف ، ولرابع الأخير غُزِيَ للقاضي أبي بكر الباقلاني . وَيَزِدُّهُ الحديث الآتي بعد عشرين باباً وقد أشرت إليه في « باب فضل الاستغفار » وقد قال الخليلي في تفسير « التواب » في الأسماء الحسنى : أنه العائد على عبده بفضل رحمته ، كلما رجع لطاعته وندم على معصيته فلا يحبط عنه ما قدمه من خير ولا يحرمه ما وعد به الطائع من الإحسان .

وقال الخطابي : « التواب » الذي يعود إلى القبول كلما عاد العبد إلى الذنب وتاب .

وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ وَرُبَّمَا قَالَ أَصَبْتُ فَاعْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، عَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا - أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاعْفِرْهُ ، فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، عَفَرْتُ لِعَبْدِي . ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْبًا ، قَالَ قَالَ : رَبِّ أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاعْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، عَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ <sup>(١)</sup> .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن بطال : في هذا الحديث أن المصير على المعصية في مشيئة الله تعالى ، إن شاء عذبه وإن شاء عفره مُغْتَلَبًا الحسنة التي حاء بها ، وهي اعتقاده أن له ربا خافا يعذبه ويغفر له ، واستغفاره إياه على ذلك يدل عليه

(١) أخرجه البخاري [٧٠٦٨] ومسلم [٢٧٥٨/٢٩] .

قوله : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [ الأنعام ١٦٠ ]  
ولا حسنة أعظم من التوحيد ، فإن قيل : إن استغفاره ربه توبة  
منه ، قلنا : ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة وقد يطلبها  
المُصِيبُ والتائب ولا دليل في الحديث على أنه تائب مما سأل الغفران  
عنه ؛ لأن حد التوبة الرجوع عن الذنب ولعزم أن لا يعود إليه  
والإقلاع عنه والاستغفار بمجرد لا يُفهم منه ذلك . انتهى .  
وقال غيره شروط التوبة ثلاثة : الإقلاع ، والندم ، والعزم  
على أن لا يعود . والتعبير بالرجوع عن الذنب لا يفيد معنى  
الندم ، بل هو إلى معنى الإقلاع أقرب ، وقال بعضهم : يكفي  
في التوبة تحقق إدم على وقوعه منه ؛ فيه يستمر الإقلاع عنه  
والعزم على عدم العود فهما ناشقان عن الندم لا أصلا ،  
ومن ثم جاء الحديث : « الندم توبة » .  
وقال القرطبي في المفهم : يدل هذا الحديث على عظيم  
فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحممه  
وكرمه ، لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معاه في القسب مقارنا

لسان لينحلَّ به عقد الإصرار ، ويحصل معه الندم ، فهو ترجمة  
 للتوبة ، ويشهد له حديث : « خياركم كل مفتن تواب » <sup>(١)</sup>  
 ومعناه الذي يتكرر منه : الذنب والتوبة ، فكلما وقع في الذنب  
 عاد إلى التوبة ، لا من قال : أستغفر الله ، بلسانه وقلبه مُصِرٌّ  
 على تلك المعصية ، فهذا الذي استغفره يحتاج إلى الاستعمار  
 قلت : ويشهد له ما أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث ابن  
 عباس مرفوعا : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستعمر  
 من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه » والراجح أن قوله  
 « والمستغفر » إلى آخره موقوف وأوله عند ابن ماجه والطبراني  
 من حديث ابن مسعود وسنده حسن <sup>(٢)</sup> وحديث « خياركم  
 كل مفتن تواب » ذكره في مسند الفردوس عن علي .

قال انقرطى : وفائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وإن  
 كان أقبح من ابتدائه لأنه انصاف إلى ملاسة الذنب بنقض  
 التوبة ، لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها لأنه انضاف

(١) مسند الشهاب [١٢٧١] عن علي رضي الله تعالى عنه .

(٢) رواه ابن ماجه [٤٢٥٠] وحسنه الألباني .

إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله والاعتراف  
بأنه لا غافر للذنوب سواه .

قال النووي في الحديث : إن الذنوب ولو تكررت مائة مرة  
بل ألفا وأكثر وتاب في كل مرة قبلت توبه ، أو تاب عن  
الجميع توبة واحدة صحت توبته ، وقوله : « اعمل ما شئت »  
معناه : ما دمت تذنّب فتتوب غفرت لك .

ودكر في « كتاب الأذكار » عن الربيع بن حيثم أنه قال :  
لا تقل : أستغفر الله وأتوب إليه ، فيكون دبا وكذا إن لم  
تفعل ، بل قل : اللهم اغفر لي وتب عليّ . قال النووي : هذا  
حسن وأما كراهية . « أستغفر الله ، وتسميته كذا فلا يوافق  
عليه ، لأن معنى أستغفر الله : أطلب معفرتي ، وليس هذا كذا ،  
قال : ويكفي في ردّه حديث ابن مسعود بلفظ : « من قال :  
أستغفر الله الذي لا إله إلا هو أحيي القيوم وأتوب إليه غفرت  
ذنوبه وإن كان قد قرأ من الرحف » (١) .

---

(١) رواه الترمذي [٣٥٧٧] وأبي داود [١٥١٧] عن بلال بن  
يسار بن زيد مولى النبي ﷺ عن أبيه عن حده وصححه الألباني  
ورواه الحاكم [٢/١٢٨/٢٥٥٠] عن ابن مسعود .

قلت : هذا في لفظ « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم » ، وأما « أتوب إليه » فهو الذي عسى الربيع رحمه الله أنه كذب ، وهو كذلك إذا قاله ولم يفعل التوبة كما قال . وفي الاستدلال لبرّد عليه بحديث بن مسعود نظر لجوار أن يكون المراد منه ما إذا قالها وفعل شروط التوبة ، ويحتمل أن يكون الربيع قصد مجموع اللفظ لا خصوص « أستغفر الله » فيصح كلامه كله والله أعلم .

ورأيت في الخليات للسبكي الكبير : الاستعفار طيب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما ، فالأول : فيه نفع لأنه خير من السكوت ، ولأنه يعتاد قول الخير . والثاني : نافع حدا . والثالث : أبلغ منهما لكنهما لا يمحضان الذنب حتى توجد التوبة فإن العاصي المصر يطلب المغفرة ولا يسئرم ذلك وجود التوبة منه إلى أن قال : والذي ذكرته من أن معنى الاستعفار هو غير معنى التوبة هو بحسب وضع اللفظ لكه غلب عند كثير من الناس أن لفظ « أستغفر الله » معناه : التوبة ، فمن كان ذلك معتقده فهو يريد التوبة لا محالة ، ثم قال : وذكر



بعض العلماء أن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار لقوله تعالى : ﴿ وَأَدَّ  
أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ والمشهور أنه لا يشترط .  
وقال النووي : اعلم أن كل من ارتكب معصية لزمه المبادرة  
إلى التوبة منها والتوبة من حقوق الله تعالى يُشترط فيها ثلاثة  
أشياء : أن يُقلع عن المعصية في الحال ، وأن يندم على فعلها ،  
وأن يعزم ألا يعود إليها .

والتوبة من حقوق الآدميين يُشترط فيها هذه الثلاثة ، ورابع .  
وهو رد الظلامة إلى صاحبها أو طلب عفو عنها والإبراء منها ،  
فيجب على المغتاب التوبة بهذه الأمور الأربعة ؛ لأن الغيبة حق  
آدمي ولا بد من استحلاله من اغتيابه ، وهل يكفيه أن يقول :  
قد اغتبتك فاجعني في حل ، أم لا بُدَّ أن يبين ما اعتابه به ؟  
فيه وجهان لأصحاب الشافعي رحمهم الله : أحدهما :  
يُشترط بيانه ، فإن أبرأه من غير بيانه لم يصح كما لو أبرأه عن  
مال مجهول . ولثاني : لا يُشترط لأن هذا مما يُتسامح فيه فلا  
يُشترط علمه بخلاف المال . والأوّل أظهر لأن الإنسان قد  
يسمخ بالعفو عن غيبة دون غيبة ، فإن كان صاحب الغيبة ميتاً

أو غائباً فقد تعذّر تحصيل البراءة منها ، لكن قال العلماء :  
يبغي أن يُكثّر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسّات .

واعلم أنه يُستحب لصاحب الغيبة أن يبرئه منها ولا يجهت  
عليه ذلك ؛ لأنه تبرّع وإسقاط حق ، فكان إلى خيبرته ولكن  
يُستحب له استحباباً مؤكداً الإبراء ليخلص أخاه المسلم من  
وبال هذه المعصية ويفوز هو بعظيم ثواب الله تعالى في العفو  
ومحبة الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ  
الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [ آل عمران : ١٣٤ ] .

وطريقه في تطيب نفسه بالعفو أن يدكّر نفسه أن هذا الأمر  
قد وقع ولا سبيل إلى رفعه فلا يبغي أن أفوت ثوابه وخلاص  
أحي المسلم وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ  
لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [ انشورى : ٤٣ ] . وقال تعالى : ﴿ خُذِ  
الْعَفْوَ ﴾ [ ادعاب : ١٩٩ ] . والآيات بنحو ما ذكرنا كثيرة .

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « .. الله في  
عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَحِيهِ .. » (١) .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [ ٣٨/٢٦٩٩ ] عن أبي هريرة .

وقد قال الشافعي رحمه الله : من اشترضي فسم يرض فهو  
 شيطان . وقد أنشد المتقدمون في هذا المعنى :  
 قيل لي قد أساء إليك فلان ومقام الفتى على الذل غار .  
 قلت قد جاءنا وأحدث غدرأ دية الذنب عندنا الاعتذار .  
 فهذا الذي ذكرناه من الحث على الإبراء عن العيبة هو  
 الصواب . وأما ما جاء عن سعيد بن المسيب أنه قال : لا أُحِلُّ  
 من ظلمي ، وعن ابن سيرين : لم أُحرِّمها عليه فأحلَّها له لأن  
 الله تعالى حرَّم الغيبة عليه ، وما كتُّ لأُحلَّ ما حرَّمه الله  
 تعالى أبداً . فهو ضعيف ، أو غلط ، فإن المبريء لا يحلُّ  
 محرماً وإنما يسقط حقاً ثبت له ، وقد طاهرت نصوص لكتاب  
 والسنة على استحباب العفو وإسقاط الحقوق المختصة بالمسقط .  
 أو يُحمل كلام ابن سيرين على أنني لا أُبيح عيبي أبداً وهذا  
 صحيح فإن الإنسان لو قال : أبحث عرصي من اعتابني لم  
 يصر مباحاً بل يحرم على كل أحد غيبته كما يحرم غيبة غيره .  
 وأما الحديث : « أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْصِم ؟ »

كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ إِنِّي تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى النَّاسِ ۖ (١)  
 فمعناه : لا أَطْلُبُ مَظْلَمَتِي مِمَّنْ ظَلَمَنِي لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ،  
 وَهَذَا يَنْفَعُ فِي إِسْقَاطِ مَظْلَمَةٍ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ الْإِبْرَاءِ .  
 وَهَذَا الْكِتَابُ شَدَرَاتٌ مِنْ فَيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى شَيْخَا  
 الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ مَتَوَلَّى الشُّعْرَاوِي ، حَمَمَهَا مِنْ كُتُبِهِ وَتَسْجِيلَاتِهِ  
 ثُمَّ شَرَحَهَا وَعَنْقَا عَلَيْهَا ، وَتَمَّ ضَبْطُ أَحَادِيثِهَا وَتَخْرِيجُهَا عَلَى  
 مَصَادِرِهَا ، وَالْحُكْمُ عَلَيْهَا صَحَّةٌ وَصَعْفٌ مِنْ خِلَالِ كَلَامِ عُلَمَاءِ  
 الْحَدِيثِ . وَاللَّهُ أَسَاءُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا قَارِئُهَا وَكَاتِبُهَا وَنَاشِرُهَا ، وَأَنْ  
 يَجْزِيَ شَيْخَا الْجَائِلِ عَمَّا قَدَّمَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجُرَاءِ ،  
 وَأَنْ يَجْعَلَ ثَوَابَ ذَلِكَ خَالِصاً لَهُ وَهُوَ مِيزَانُ حَسَنَاتِهِ يَوْمَ لَا  
 يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا نَوْنٌ . إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَلِي ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ . وَصَلَّى  
 اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

عبد الله حجاج

ربيع الأول ١٤٢٢ هـ

يسريه ٢٠٠١ م

---

(١) رواه أبو داود [٤٨٨٦] عن قتادة رضي الله تعالى عنه و[٤٨٨٧]  
 عن عبد الرحمن بن عجلان وقال الألباني : صحيح مقطوع .

## التوبة ضرورة لحركة الحياة

شرع الله تعالى التوبة رحمة لحركة الحياة كلها ؛ لأنه إذا لم يكن هناك توبة لمرتكب المعصية أصبح كل من ارتكب ذنباً - ولو صغيراً مما يطلق عليه اللوم مصيره إلى النار .

وإذا علم الإنسان أن مصيره النار مهما فعل ، فإنه يستشري في الذنب ، ويزداد في الإثم ما دام لا فرق بين ذنب واحد وذنوب متعددة ولكن حين يعلم أى إسان بخطيئة أن لله تعالى ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها ( ) لا يزداد في إثمه ولا يتمادى في شروره .

إذن .. ففتح باب التوبة ليس رحمة للفرد فقط ، بل هو رحمة للمجتمع كله ؛ لأنها تجعل المجرم يكف عن إجرامه طمعاً فيما عند الله ، ورغبة في العفو .

---

(١) أخرجه مسلم [٣١/٢٧٥٩] عن أبي موسى رضى الله تعالى

عنه .

والله سبحانه وتعالى هو : ﴿ التَّوَابُ ﴾ [البقرة : ٣٧] والتَّوَابُ صيغة مبالغة في قبول التوبة ، والمعنى : أنه يقبل التوبة من عباده ويعفو ، مهما تكرّر الذنب ما دام العبد يرغب في الرجوع إلى الله تعالى <sup>(١)</sup> .

(١) أخرج مسلم [٢٩، ٢٧٥٨] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما يحكى عن ربه عز وجل قال : « أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ : تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا . فَعَلِمَ أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غُفِرَتْ لَكَ » . ووافقه البخارى [٧٥٠٧] .

قال الإمام النووي : « وهذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة هي أنه لو تكرّر الذنب مائة مرة ، أو ألف مرة ، أو أكثر ، وتاب =

= في كل مرة ، قُبِلَت توبته ، وسقطت ذنوبه ، ولو تاب عن  
الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته .

مسلم بشرح النووي [٨٨/٩]

قلت : وديله في ذلك ما أخرجه مسلم [٤٦/٢٧٦٦] ،  
والبحاري [٣٤٧٠] وابن ماجة [٢٦٢٢] عن أبي سعيد  
الخدري رضي الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال . « كان فيمصر كان قبكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً .  
فسأل عن أغصم أهل الأرض ، فذُلَّ على راهب . فأتاه فقال :  
إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا .  
فقتله ، فكمّل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فذُلَّ ،  
على رجل عالم . فقال . إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟  
فقال : نعم . ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض  
كذا وكذا فإن بها أسيراً يعبّدون الله عابدين معه ، ولا  
ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا بصرف  
الطريق أتاه الموت . فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة  
العذاب . فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مُقْبِلاً بقبه إلى  
الله . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط =



---

= فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعله بينهم . فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى ، فهو له . فقاوسه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد . فقبضته ملائكة الرحمة » .



## اللَّهُ تعالى يفرح بتوبة عبده

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ نِعَمَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ  
 أَنفُسِهِمْ لَا يَقْضُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا  
 إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الرعر ٥٣] ويقول رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من  
 أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفتحت منه وعليها  
 طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها  
 قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ،  
 فأخذ بحطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا  
 ربك ، أخطأ من شدة الفرح » (١) .

---

(١) أخرجه مسلم [٧/٢٧٤٧] عن أنس بن مالك رضى الله  
 تعالى عنه .

وعنه [١/٢٦٧٥] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن  
 رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : أنا عبد طن عبدى  
 بى ، وأنا معه حيث يذكرى ، والله لله أفرح بتوبة عبده من  
 أحدكم يجد ضلّته بالفلانة . ومن تقرب إلى شراً تقرب

وتخيل وأنت مسافر في صحراء حرداء ، بعيدة تماماً عن أى عمران ، ثم جلست لتستريح ومعك الجمل الذى تسافر عليه وعليه الماء والطعام وكل ما تملك من وسائل الحياة ، ثم غفلت عن الجمل فانطلق شاردأً وسط الصحراء ، ولما تنبهت لم تجده ولم تعرف مكانه ، عند ذلك تيقنت أنك هالك لا محالة ، وفجأة وأنت فى هذه الحالة من الغم والكرب خوفاً من المصير الذى ينتظرك وجدت الجمل أمامك فكيف تكون فرحتك ؟ بلا شك تكون فرحة كبيرة جداً ؛ لأنك وجدت ما ينجيك من الهلاك ، فرحة هائلة عبر عنها الحديث الشريف ، حتى إن صاحب الراحلة أخطأ فى دعائه فقال « اللهم أنت عبدى وأنا ربك » وذلك من شدة فرحه .




---

= إليه دراعاً ، ومن تقرب إلى دراعاً تقربت إليه بعاً ، وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهرولاً »

وقال شيخ الإسلام بن تيمية : وهذا الحديث متواتر عن النبى ﷺ رواه ابن مسعود ، والبراء بن عازب ، والنعمان بن بشير ، وأبو هريرة ، وأُس بن مالك رضى الله تعالى عنهم .

## أنواع التوبة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : التوبة نوعان : واجبة ومستحبة  
فالواجبة . هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور . وهذه  
واجبة على جميع المكلفين ، كما أمرهم الله بذلك في كتابه  
وعلى السنة رسوله .

والمستحبة : هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات .  
فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين ،  
ومن تاب لتوبتين كان من السابقين المقربين . ومن لم يأت  
بالأولى كان من الظالمين : إما الكافرين وإما العاصقين .

والتوبة . رجوع عما تاب منه إلى ما تاب إليه .  
فالتوبة المشروعة هي الرجوع إلى الله ، وإلى فعل ما أمر به  
وترك ما نهى عنه . وليست اتوبة من فعل السيئات فقط كما  
ظن كثير من الجاهل ، لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العبد  
من القبائح كالفواحش والمظالم ، بل التوبة من ترك الحسنات  
المأمور بها أهم من التوبة من فعل السيئات المهي عنها ، -



---

= فأكثر الخلق يتركون كثيراً مما أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها وأقوال الأبدن وأعماله ، وقد لا يعلمون أن ذلك مما أمروا به ، أو يعمون الحق ولا يتبعونه ، فيكونون إما صالحين بعدم العلم النافع ، وإما معضوباً عليهم بمعاندة الحق بعد معرفته .  
النوبة لآس تيمية [ ص : ١٣ ، ١٤ ] .

## شروط التوبة

وشروط التوبة ثلاثة : الندم ، والإقلاع ، والاعتذار .  
فحقيقة التوبة : هي الندم على ما سلف منه في الماضي ،  
والإقلاع عنه في الحال ، والعزم على ألا يعاوده في المستقبل .  
والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة ، فإنه في  
ذلك الوقت يندم ، ويقطع ، ويعزم .

فحينئذ يرجع إلى العبودية التي حق لها . وهذا الرجوع هو  
حقيقة التوبة . ولما كان متوقفاً على تلك الثلاثة جعلت شرائط له .  
فأما الندم : فإنه لا يتحقق التوبة إلا به ؛ إذ من لم يندم على  
القبيح فذلك دليل على رضاه به ، وإصراره عليه ، وفي المسند  
« الندم توبة » (١) .

وأما الإقلاع : فتستحيل التوبة مع مباشرة الدب .  
وأما الاعتذار : ففيه إشكال ، فإن من الناس من يقول : من  
(١) رواه أحمد في المسند [ ٣٧٦/١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣ ] عن ابن  
مسعود رضي الله تعالى عنه وقال الأريثوط : صحيح .

تمام التوبة ترك الاعتذار ؛ فإن الاعتذار مُحاحَّة عن الجنابة ،  
وترك الاعتذار اعتراف بها ، ولا تصح التوبة إلا بعد الاعتراف .  
وفى ذلك يقول بعض الشعراء لرئيسه ، وقد عتب عليه فى  
شئ :

وما قابلت عُتْبَكَ باعتذار      ولكنى أقول كما تقول  
وأطرق باب عفوك بانكسر      ويحكم بيسا الخلق الجميل  
فلما سمع الرئيس مقالته قام وركب إليه من فوره وأزال عتبه  
عليه .

فتمام الاعتراف : ترك الاعتذار ، بأن يكون فى قلبه ولسانه :  
اللَّهُمَّ لا براءة لى من ذنب فأعتذر ، ولا قوة لى فأنتصر ،  
ولكنى مدب مستغفر ، اللَّهُمَّ لا عذر لى ، وإنما هو محض  
حقك ، ومحض جذبتي ، فإن عفوت وإلا فالحق لك .  
والذى ظهر لى من كلام صاحب المازل : أنه أراد بالاعتذار  
إظهار الضعف والمسكنة ، وغلبة العدو ، وقوة سلطان النفس ،  
وأنه لم يكن منى ما كان عن استهانة بحقك ، ولا جهلاً به ،  
ولا إنكاراً لاطلاعتك ، ولا استهانة بوعيدك ، وإنما كان من

غلبة الهوى ، وضعف القوة عن مقاومة مرض الشهوة ، وطمعا  
 في معصرتك وتكالا على عفوك ، ولحسني ظن بك ، ورحاء  
 لكرمك ، وطمعا في سعة حلمك ورحمته ، وعربي بك  
 الغرور ، والنفس الأماراة بالسوء ، وسترك المرخي على ،  
 وأعانتى جهلى ، ولا سبيل إلى الاعتصام لى إلا بك ، ولا معونة  
 على طاعتك إلا بتوفيقك ، ونحو هذا من الكلام المتضمن  
 للاستعطاف والتدلل والافتقار ، والاعتراف بالعجز ، والإقرار  
 بالعبودية فهذا من تمام التوبة ، وإنما يسلكه الأكاس  
 المتملقون لربهم عز وجل ، والله يحب من عبده أن يتمنى له .  
 وفى الحديث : « تملقوا لله » <sup>(١)</sup> ، وفى الصحيح : « لا  
 أحد أحب إليه العذر من الله » وإن كان معنى ذلك الإعذار ؛  
 كما قال فى آخر الحديث : « من أحل ذلك أرسل الرسل  
 مبشرين ومنذرين » <sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى . ﴿ فَأَلْمَلَقَيْتَ ذِكْرًا ۝١٠٠ ﴾

(١) لم أجده فيما تحت أيدينا من مراجع .

(٢) أخرجه مسلم [١٧/١٤٩٩] عن سعد بن عباد رضى الله عنه .

عُذْرًا أَوْ نُدْرًا ﴿١١﴾ [المرسلات] . فإنه من تمام عدله وإحسانه :  
 أن أعذر إلى عماده ، وألا يؤاخذ طالمهم إلا بعد كمال  
 الإعذار وإقامة الحجة عليه ، فهو أيضًا يحب من عبده أن يعتذر  
 إليه ، ويتنصل إليه من دونه ، وفي الحديث : « من اعتذر  
 إلى الله قبل الله عذره »<sup>(١)</sup> . فهذا هو الاعتذار المحمود السافع .  
 أما الاعتذار بالقصر : فهو محاصمة لله ، واحتجاج من العبد  
 على الرب ، وحمل لدننه على الأقدار ، وهذا فعل خصماء  
 الله ، كما قال بعض شيوخهم في قوله تعالى ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ  
 حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَطَّرَةِ  
 مِنَ الذَّهَبِ وَالْيَصَّةِ ﴾ [ال عمران : ١٤] .  
 قال : أتدرون ما المراد بهذه الآية ؟

قالوا : ما المراد بها ؟

قال : إقامة أعدار الحليفة .

---

(١) رواه أبو يعنى [٤٣٣٨/٣٠٢/٧] عن أس بن مالك رضى  
 الله تعالى عنه .



وكذب هذا الجاهل بالله وكلامه ، وإنما المراد بها : الترهيد في  
 هذا الفاني المذهب ، والترغيب في اساقى الدائم ، والإزرار بمن  
 أثر هذا المزين واتبعه ، بمزلة الصبي الذي يُزَيَّن له ما يلعب به  
 فيهبش إليه ويتحرك له ، مع أنه لم يذكر فاعل التزيين ، فلم يقل :  
 « زيننا للناس » والله تعالى يُضيف تزيين الدنيا والمعاصي إلى  
 الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴾ [ الأعم ٤٣ ] ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ رُبَّمَا  
 لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ ﴾ .

[ الأعم . ١٢٧ ] .

وفي الحديث : « بعثت هاديًا وداعيًا ، وليس إلى من الهداية  
 شيء ، وبعث إبليس معويًا ومريئًا ، وليس إليه من الضلالة  
 شيء » ، ولا ياقص هذا قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ  
 آفَةٍ عَمْدَهُمْ ﴾ [ الأعم ١٠٨ ] . فإن إضافة التزيين إليه قصاء  
 وقدرا ، وإلى الشيطان تسبيًا ، مع أن تزيينه تعالى عقوبة لهم

---

على ركونهم إلى ما ربه الشيطان لهم . فمن عقوبة السيئة :  
السيئة بعدها ، ومن ثواب الحسنة : الحسنة بعدها .

والمقصود : أن الاحتجاج بالقدر مذنب للتوبة . وليس هو من  
الاعتذار في شيء ، وفي بعض الآثار : « إن العبد إذا أذنب ،  
فقال : يا رب ، هذا قصاؤك ، وأنت قدرت عليّ ، وأنت  
حكمت عليّ ، وأنت كتبت عليّ . يقول الله عز وجل :  
وأنت علمت ، وأنت كسبت ، وأنت أردت واحتهدت ، وأنا  
أعاقبك عليه .

وإذا قال : يا رب ، أنا أخطأت ، وأنا اعتديت ، وأنا فعلت ،  
يقول الله عز وجل : وأنا قدرت عليك وقضيت وكتبت ، وأنا  
أغفر لك .

وإد عمل حسنة ، فقال : يا رب أنا عملتها ، وأنا تصدقت ،  
وأنا صليت ، وأنا أطعمت ، يقول الله عز وجل : وأنا أعتك .  
وأنا وفقتك .

وإذا قال : يا رب أنت أعتني ووفقتني ، وأنت مننت عليّ .



---

يقول الله تعالى : وأنت عملتها ، وأنت أردتها ، وأنت  
كسبتها » .

فلاعتذار اعتذارا : اعتذار يافي لاعتراف . فذلك مناف  
للتوبة .

واعتذار يقرر الاعتراف ، فذلك من تمام التوبة .

مدارج السالكين [ ٢٠٥: ٢٠٢/١ ] .

## حقائق التوبة

---

قال صاحب المنازل : وحقائق التوبة ثلاثة أشياء :

تعظيم الجناية .

وتهام التوبة .

وطلب أعذار الحليقة .

يريد بحقائق . ما يتحقق به الشيء ، وتبين به صحته

وثبوتة ، كما قال السيوطي رحمه الله لحرثة : « إن لكل حق حفيقة وما

حقيقة إيمانك ؟ »<sup>(١)</sup> .

---

(١) روى ابن أبي شيبة في المصنف كتاب [ ٢٧ ] الإيمان والرؤيا ،

باب [ ٥ ] حديث رقم [ ٧٤ ] عن ربيد قال ، قال رسول الله ﷺ :

« كيف أصبحت يا حارث بن مالك ؟ قال : أصبحت مؤمناً

حقاً ، قال . إن لكل قول حقيقة فما حقيقة ذلك ؟ قال .

أصبحت عزفت نفسي عن الدنيا ، وأسهرت ليلي

وأظلمات بهاري . وكأني أنظر إلى عرش ربي قد أبرد

لحساب ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون في الجنة ، =

---

فأما تعظيم الجناية : فإنه إذا استهان بها لم يندم عليها .  
وعلى قدر تعظيمها يكون ندمه على ارتكابها . فإن من استهان  
بإضاعة فلس - مثلاً - لم يندم على إضاعته ، فإذا علم أنه  
دينار اشتد ندمه وعظمت إضاعته عنده .  
وتعظيم الجناية يصدر عن ثلاثة أشياء .

تعظيم الأمر ، وتعظيم الأمر ، والتصدق بالجراء  
وأما اتهام التوبة : فلأنها حق عليه ، لا يتيقن أنه أدى هذا  
الحق على الوجه المطلوب منه ، الذي ينبغي له أن يؤديه عبثاً ،  
فيخاف أنه ما وفاها حقها ، وأنها لم تقبل منه ، وأنه لم يبذل  
جهده في صحتها ، وأنها توبة عجلة وهو لا يشعر بها ، كتوبة  
أرباب الحوائج والإفلاس ، ولحافظين على حاجاتهم ومازلهم

---

- وكأني أسمع عواء أهل النار ، قال : فقال له : عبد نور الإيمان  
في قلبه ، إن عرفت فالزم » .

وانظره في ترجمة حارثة بن سراقة في أسد الغابة لابن  
الأثير [٩٩٣/٦٥٠/١] ، والإصابة لابن حجر العسقلاني  
[١٤٨٠/٥٩٧/١] .

بين الناس ، أو أنه تاب محافظة على حاله فتاب بلحال ، لا خوفاً من ذى الجلال ، أو أنه تاب طلباً للراحة من الكد في تحصيل الذب ، أو اتقاء ما يخافه على عرضه وماله ومنصبه ، أو لصعف داعي المعصية في قلبه ، وخمرد نار شهوته ، أو لمفاة المعصية لما يطلبه من العلم والرزق ، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في كون التوبة خوفاً من الله ، وتعظيماً له ولحرماته ، وإجلالاً له ، وخشية من سقوط سرلة عده ، وعن العبد والطرده عنه ، والمحباب عن رؤية وجهه في امدار الآخرة ، فهذه التوبة لول ، ونوبة أصحاب العلل لول .

ومن اتهام التوبة أيضاً : صعف العزيمة ، والتفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة ، وتذكر حلاوة مواقعه ، فرما تنفس ، وربما هاح هائجه .

ومن اتهام التوبة : طمأينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب ، حتى كأنه قد أعطى مشوراً بالأمان ، فهذا من علامات التهمة . ومن علاماتها : حمود العبد ، واستمرار العفلة ، وألا يستحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة لم تكن له قبل الخطيئة .

منارج الساكين [٢٠٦:٢٠٥/١] .

## علامات صحة التوبة

التوبة المقبولة الصحيحة لها علامات .

منها : أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها .

ومنها : أنه لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة

عين . فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض

روحه : ﴿ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي

كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [ ممت ٣٠٠ ] ، فهناك يزول الخوف .

ومنها : انخلاع قلبه ، وتقطعه ندمًا وحقاً . وهذا على قدر

عظم الجناية وصغرها ، وهذا تأويل ابن عينة لقوله تعالى : ﴿ لَا

يَرَأَىٰ فِيْ سِنَانِهِمُ الَّذِي كَانُوا يُرْسَوْنَ فِي قُلُوبِهِمُ إِلَّا أَن تَقْطَعَ

قُلُوبُهُمْ ﴾ [ التوبة ١١٠ ] . قال : تقطعها بالتوبة .

ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب

انصداع القلب وانخلاعه ، وهذا هو تقطعه ، وهذه حقيقة

التوبة ؛ لأنه يتقطع قلبه حسرة على ما مرط منه ، وخوفاً من

---

سوء عاقبته ، فمن لم يتقطع قلبه فى الدنيا على ما فرط حسرة  
وحوفاً ، تقطع فى الآخرة إذا حقت الحقائق ، وعانين ثواب  
المطيعين ، وعقاب العاصين ، فلاند من تقصع القلب إما فى  
الدنيا وإما فى الآخرة .

ومن موحيات التوبة الصحيحة أيضاً كسرة خاصة تحصل  
لقلب لا يشبهها شىء ، ولا تكون لغير المذنب ، لا تحصل  
بجوع ، ولا رياضه ، ولا حب محرد ، وإنما هى أمر وراء هذا  
كبه ، تكسر القلب بين يدى الرب كسرة تمة ، قد أحاطت  
به من جميع جهاته ، وألقته بين يدى ربه طريقاً دليلاً خاشعاً .  
كحال عبد جان أبى من سيده ، فأخذ فأحضر بين يديه ، ولم  
يجد من ينحيه من سطوته ، ولم يجد منه بداً ، ولا عنه عناء ،  
ولا منه مهرباً ، وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه فى  
رضاه عنه وقد علم إحاطة سيده بتفاصيل جواباته ، هذا مع حبه  
لسيده ، وشدة حاجته إليه ، وعلمه بصعفه وعجزه ، وقوة  
سيده ، ودله ، وعز سيده .



فيجتمع من هذه الأحوال كسرة وذلة وحصوع ، ما أنفعها  
للعبد ! وما أجدى عائدتها عليه ! وما أعظم جبره بها . وما  
أقربه بها من سيده !

فليس شيء أحب إلى سيده من هذه الكسرة ، والخضوع  
والتذلل ، والإخبات ، والانطراح بين يديه ، والاستسلام به .  
فإنه ما أحلى قوله في هذه الحال : « أسألك بعزك ودلي إلا  
رحمتي ، أسألك بقوتك وضعفى ، وبغناك عنى وفقري إليك ،  
هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك ، عبيدك سوى كثير ،  
وليس لى سيد سواك ، لا ملجأ ولا مخرج منك إلا إليك .  
أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهاج الخاضع الدليل .  
وأدعوك دعاء الخائف الضعير ، سؤال من حصعت لك رفته ،  
ورغم لك أنفه ، وفاضت لك عيده ، وذلل لك قلبه » .

يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به مما أحاذره  
لا يجر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهضون عظمًا أنت جابره  
فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة ، فمن لم يجد ذلك فى  
قلبه فليتهم توبته ، وليرجع إلى تصحيحها .

فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة ، وما أسهلها باللسان والدعوى ! وما عالج الصادق بشيء أشق عليه من التوبة الخالصة الصادقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأكثر الناس من المتزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات : في كئائر مثلها أو أعظم منها أو دونها ، ولا يحظر بقلوبهم أنها دنوب ليتوبوا منها ، فعندهم من الإزرء على أهل الكبائر واحتقارهم ، وصولة طاعاتهم ، ومنتهم على الخلق بلسان الحال ، واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعاتهم ، اقتضاء لا يخفى على أحد غيرهم ، وتوابع ذلك ما هو أبعد إلى الله ، وأبعد لهم عن بابه من كئائر أولئك .

فإن تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها ؛ ليكسر بها نفسه ، ويعرفه قدره ، ويذله بها ، ويحرج بها صولة الطاعة من قلبه ، فهي رحمة في حقه ، كما أنه إذا تدارك أصحاب الكبائر بتوبة نصوح ، وإقبال بقلوبهم إليه ، فهو رحمة في حقهم ، ولا فكلأهما على خطر . مسرج لسالكين [ ٢٠٨ : ٢٠٦ / ١ ] .

## جزاء المعرض عن التوبة

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَوُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة : ٧٤] إذن .. فجزاء من يعرض عن التوبة ويرفض أن يعترف بخطئه ، عذاب أليم ليس في الآخرة فقط ، ولكن في الدنيا والآخرة .

وقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ يتوهمه بعض الناس من ذوى العقول السقيمة بأن العذاب في الدنيا فقط ؛ ولكن هالك أرض في الدنيا وأرض في الآخرة هي أرض الميعاد مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ [إبراهيم ٤٨] .

إذن .. فكلمة الأرض تعطينا صورتين : صورة في الدنيا وصورة الآخرة ، ولذلك فالعذاب في الدنيا على هذه الأرض ، وفي الآخرة على أرض الحشر والحساب ، ثم النار موعدهم .  
وقوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ الولي : هو القريب منك الذى تفرع إليه عند الشدائد ،

ولا تفرع عند الشدائد إلا لمن تطمع أن ينصرك ، أو لمن هو أقوى منك ، أما النصير : فهو من تطلب منه النصرة ، وقد يكون من البعيدين عنك ولا تربطك به ولاية .

إذن ، فلا الولي القريب منك ، ولا القريب الذي قد تفرع إليه لينصرك يستطيع أن يفعل شيئاً ، وذلك لتعلم أنه لا نجاة من عذاب الله إلا بالإنابة إليه ، ولا ملجأ ولا منجاة منه إلا إليه سبحانه وتعالى <sup>(١)</sup> .



---

(١) أخرج البخاري [٦٣١١] ومسلم [٥١/٢٧١٠] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مصححك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : « اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووصيت أمري إليك ، وأجأت ظهري إليك ، رعية ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبسبك الذي أرسلت ، فإن مت ؛ مت على الفطرة ، فاجعلن آخر ما تقول » .

## الاستعانة بالصبر والصلاة

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ  
وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) . [ البقرة ١٥٣ ] .

(١) إن الله عز وجل يرشدنا لكيفية التعامل مع مشاكل الحياة  
ورائها ، فيقول حل ثنائيه بخصوص التجهيز للحرب :  
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [ الأنفال ٦٠ ]  
ويقول عز وجل لنبيه مرسى عليه السلام في مواجهة بعض  
الأمر التي تحتاج إلى عون من الآخرين : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ  
بِأَخِيكَ ﴾ [ القصص : ٣٥ ] . ويقول عز وجل لمسلمين قاطبة :  
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [ المائدة ٢ ] . وهكذا في أمور  
كثيرة إلا أن القاعدة الأساسية لمواجهة كل هذه الأمور  
وغيرها هي : « الاستعانة بالصبر والصلاة » والتي يبنى عليها  
بقية الأسباب ، والتي ستمد منها توفيق الله لنا للسبب المؤدى  
إلى حبه ، وترى لسكينة علينا بإذن الله .. ولذلك كان  
رسول الله ﷺ إذا واجهته مشكلة أو أهمه أمر فام قصي  
مستعين بها ، وبالصبر كما أمر الله عز وجل وأرشد .  
وفي الحديث عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال -

- « كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى » (١) .

وعن صهيب الرومي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ :

« .. كانوا - يعنى الأنبياء - يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة .. » (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه . يعنى إليه أحوه فقم وهو في

مسير ، فسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما

الخلوس ، ثم قام يمشى إلى راحلته وهو يقول : ﴿ وَاسْتَعِينُوا

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة ٤٥] .

وروى الطبري بسنده عن أبى العالية فى قوله : ﴿ وَاسْتَعِينُوا

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ يقول استعينوا بالصبر والصلاة على

مرضاة الله ، واعلموا أنهما من طاعة الله

وعن الربيع قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةِ ﴾ ، اعلموا أنهما عون على طاعة الله . =

---

(١) رواه أبو داود [ ١٣١٩ ] ، وأحمد فى المسند [ ٢٨٨ / ٥ ] ،

وحسنه الألبانى فى صحيح أبى دود [ ١١٧١ ] .

(٢) رواه أحمد فى المسند [ ٣٣٣ ، ٤ ] بسند صحيح .

(٣) رواه سعيد بن منصور فى سننه [ ٦٣٢ / ٢ ] بسند صحيح ،

وابن جرير الطبرى فى تفسيره [ ١٤ / ٢ رقم ٨٥٢ ] .

= وأما قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، فإن تأويله : فإن الله ناصره وظهيره وراضٍ بفعله ، كقول القائل : « افعل يا فلان كذا وأنا معك » ، يعنى إني ناصرك على فعلك ذلك ومعينك عليه .

وقال الطبرى : وهذه الآية حصّر من الله تعالى ذكره على طاعته ، واحتمال مكروهاها على الأبدان والأموال ، فقال : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ على اقيام بطاعتي ، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي ، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدثه لكم من فرائضي ، وأتقاكم إليه من أحكامي ، والتسليم لأمرى فيما أمركم به في حين إلزامكم حكمه ، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه وإن لحصمكم في ذلك مكروه من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل ، أو مشقة من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل ، أو مشقة على أبدانكم في قيامكم به ، أو نقص في أموالكم - وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي ، بالصبر منكم لى على مكروه ذلك ومشقته عليكم ، واحتمال عنائه وثقله ، ثم بالفرع منكم فيما يتوبكم من معظعات الأمور إلى الصلاة لى . فإنكم بالصبر على المكاره تدركون مرضاتي ، =

وبالصلاة لى تستنجحون طبابتكم قتللى ، وتدركون حاجاتكم  
عندى ، فابى مع الصابرين على القيام بأداء فرائضى وترك  
معاصى ، أنصروهم وأرعاهم وأكلؤهم : حتى يظفروا بما طلبوا  
وأملوا قبلى .  
تفسير الطبرى [٢١٣/٣ ، ٢١٤] .

وقال القاسمى فى قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْبُيُوتُ الْمُمِينَاتُ ﴾  
أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴿ : أرشد تعالى المؤمنين ، إثر الأمر  
بالشكر فى الآية قبل ، بالاستعانة بالصبر والصلاة ؛ لأن العبد إما  
أن يكون فى نعمة فيشكر عليها ، أو فى نقمة فيصبر عليها . كما  
جاء فى الحديث<sup>(١)</sup> . « عجباً للمؤمن ، لا يقضى له قضاء إلا  
كان خيراً له . إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وإن

(١) أخرجه مسلم [٦٤/٢٩٩٩] عن صهيب رضى الله تعالى عنه  
بلفظ : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك  
لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ،  
وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له » .

وروى أحمد فى المسند [٢٤/٥] عن أنس بن مالك رضى الله  
تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجباً للمؤمن ، لا  
يقضى الله له شيئاً إلا كان خيراً له » .



٢ - أصابته ضرباء فصبر كان حيراً له . وتبين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب في سبيل الله ، الصبر ولصلاة كما تقدم في قوله : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ .

وفي الحديث (١) : أن رسول الله ﷺ كان إذا خزنه أمر صنى ثم إن الصبر صبران : صبر على ترك المحارم والمآثم ، وصبر على فعل الصاعات والقربات . وثاني أكثر ثواباً : لأنه المقصود وأما الصبر الثالث ، وهو الصبر على المصائب والبوائ ، فذاك أيضاً واجب . كالاستعفار من المعائب . وقال الإمام ابن تيمية في كتبه « السياسة الشرعية » : وأعظم عون لولي الأمر خاصة ، ولغيره عامة ثلاثة أمور . أحدها : الإخلاص لله ، والتوكل عليه بالدعاء وغيره . وأصل ذلك المحافظة على الصلاة بالقلب والبدن . =

---

(١) تقدم ، رواه أحمد في المسند [ ٣٣٨/٥ ] ، وأبو داود [ ١٣١٩ ] ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود [ ٧١٧١ ] عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه .

= والثانى : الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذى هو الزكاة .

والثالث : الصبر على الأذى من الخلق وغيره من الموانع .

ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيراً كقوله

تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ .

وكقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَرُفُفَا مِنَ اللَّيْلِ

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الشَّرَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ ﴾ [مائدة] وَأَصْبِرْ

فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [مائدة] .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَدَى اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ

لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ [طه ١٣٠] .

وأما قرأته بين الصلاة والزكاة فى القرآن فكثير جداً .

فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعى والرعية إذا

عرف الإنسان ما يدخل فى هذه الأسماء الجامعة ، يدخل فى

الصلاة من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتبه وإخلاص

الدين له والتوكل عليه ، وفى الزكاة الإحسان إلى الخلق بالمال

والنفع : من نصر المظلوم وإعانة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج .

وفى الصبر احتمال الأذى وكظم العيظ والعفو عن =

= الناس ومخالفة الهوى وترك الشر واسطر

ما قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ قال الإمام ابن تيمية في « شرح حديث النزول » : لفظ المعية في كتاب الله جاء عاماً كما في

قوله تعالى . ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [ الحديد - ٤ ] .

وفي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [ المجادلة - ٧ ] ، إلى قوله ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ .

وحاء خاصاً كما في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [ السجدة - ١٧ ] .

وقوله : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [ ص - ٤٦ ] .

وقوله . ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [ التوبة - ٤٠ ] . فلو كان

المراد بذاته مع كل شيء ، لكان التعميم يافض التخصيص فإنه قد

علم أن قوله : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ أراد به تخصيص

نفسه وأبائهم دون عدوهم من الكفار ، وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ حصهم بذلك دون

الظالمين والفجار . وأيضاً ، فلفظ المعية ليست في لغة العرب -

= ولا في شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الدائنتين بالأخرى . كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿ تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الفتح ٢٩٠] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء ١٤٦] وقوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة ١١٩] ، وقوله تعالى ﴿ وَجَاهِدُوا مَعَكُمْ ﴾ [الأعداء ٧٥٠] . ومثل هذا كثير . فامتنع أن يكون قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ يدل على أن تكون ذاته مختلطة بدوات الخلق وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر ويتم أن لفظ المعية هي اللمعة ، وإن اقتضى الجمعية والمصاحبة والمقارنة ، فهو إذا كان مع العباد ، لم يناف ذلك علوه على عرشه ، ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه . فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسططان ، ويخص بعضهم بالإعانة والبصرة والتأييد .

محاسن لتأويل [ ٣١٦/٢ - ٣١٩ ] .

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى عليه : أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدنيوية ﴿ يَا صَبِرِ وَالصَّابِرُونَ ﴾ . فالصبر هو حبس النفس وكفها عما تكره ، فهو ثلاثة أقسام :

- الأول : صبرها على طاعة الله ، حتى تؤديها .

الثاني : وعن معصية الله حتى تركها .

الثالث : وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها .

فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر ، فلا سبيل لعبير الصابر ، أن يدرك مطلوبه وخصوصاً الطاعات الشاقة المستمرة ، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر ، وتجرع المرارة الشاقة فإذا لازم صاحبها الصبر ، فاز بالنجاح ، وإن رده امكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها ، لم يدرك شيئاً ، وحصل على الحرمان ، وكذلك المعصية لتي تشتد دواعي النفس وبوارعها إليها وهي في محل قدرة العبد ، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم ، وكف لدواعي قلبه ونوازعها ، لله تعالى ، واستعانة بالله على العصمة منها ، فإنها من القس الكبار .

وكذلك البلاء الشاق ، خصوصاً إن استمر ، فهذا تصعب معه القوى النفسانية والجسدية ، ويوجد مقتضاها ، وهو التسخط ، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله ، وانتوكل عليه ، والنجأ إليه ، والافتقار على الدوام .

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد ، بل مضطر إليه في كل

= حالة من أحواله ، فلهذا أمر الله تعالى به ، وأحبر أنه . ﴿ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أى : مع من كان الصبر لهم حلقاً وصفة ، وملكة - معونته وتوفيقه ونسديده فهات عليهم بذلك المشاق والمكاره ، وسهل عليهم كل عظيم ، وزالت عنهم كل صعوبة ، وهذه معية خاصة تقتضى محبته ومعونته ، ونصره وقربه ، وهذا منة عظيمة للصبرين . فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله ، لكفى بها فضلاً وشرفاً ، وأما المعية العامة فهى معية العلم والقدرة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ وهذه عامة للخلق

وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة ؛ لأن الصلاة هى عماد الدين ، وور المؤمنين ، وهى الصلة بين العبد وربه ، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة ، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها ، وما يسر ، وحصل فيها حضور القلب الذى هو لبها ، فصار العبد إذا دخل فيها استشعر دخوله على ربه ، ووقوفه بين يديه ، موقف العبد الخادم المتأدب ، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله ، مستغرقاً بمناجاة ربه ودعائه ، لا جرم أن هذه الصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور ، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ؛ ولأن هذا -

اللَّهُ تبارك وتعالى يخاطب من آمن به ليتلقى عنه التكليف ،  
فالتكليف إنما يأتي بعد الإيمان ، إن الله يكلف فقط من آمن به ،  
لذلك فالحق لا يقول : يا أيها الناس افعلوا كذا . إن الحق  
يدعو الناس إلى الإيمان به أولاً ، ثم يخاطب المؤمنين بأن  
يطلب منهم أن يعصوا على مقتضى الإيمان ، وعندما يأمر الحق  
جبر وعلا بالاستعانة بالصلاة بجانب الصبر ، فإننا نعلم أن  
الصلاة هي الركن الإسلامى الذى يعلن به المسلم الولاء الدائم  
لخالقه عز وجل .

وقلنا : إن الإنسان المخلوق لله عندما يقف كل يوم خمس مرات  
بين يدي الله ، فإما يصحح من ذاته ويتطهر من ذنوبه <sup>(١)</sup> .

---

- الحضور الذى يكون فى الصلاة ، يوجب للعبد فى قلبه وصفا  
وداعياً يدعو به إلى امثال أوامر ربه واجتناب نواهيه ، هذه هي  
الصلاة التى أمر الله أن يستعين بها على كل شىء .

تيسير الكريم الرحمن [ ١٠٩/١ - ١١١ ] .

(١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال . « رأيتكم لو أن بهراً يباب أحدكم

يعسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء ؟ » قلوا لا

يبقى من درنه شىء . قال . « فذلك مثل الصلوات الخمس يححو الله بهن

الخطايا » . أخرجه البخارى [ ٥٢٨ ] ، ومسلم [ ٢٣٨/٦٦٧ ] واللفظ له .

إن الإنسان صنعة الله ، وعندما يذهب لإنسان إلى لقاء خالقه حل وعلا ؛ فإنه يصلح ما يصيبه من عطب ؛ وقد لا يدري الإنسان هذا اللون من العطب . وهكذا يُعد الخالق سبحانه خَلَقَهُ لمواجَهة كل ألوان المتاعب في الحياة بقوله سبحانه : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ ؛ إن الحق يدعو المؤمنين إلى الحضور الدائم في معيته ، معية النصر والتأييد والمدد . إن أحداث الحياة والمصائب فيها لا يمكن أن تتسلط على النفس إلا إذا انعزلت النفس عن مصدر قوتها ، وفي هذا الموضع يأتي أمر الحق بالتكليف الواضح ؛ بالصبر على إيذاء اليهود وأهل الكتاب والمشر كين لمشاعر المسلمين ، قال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) .

---

(١) قال الإمام ابن القيم . قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً وهو واجب بإجماع الأمة وهو بصف الإيمان . فإن الإيمان بصفان : بصف صبر ونصف شكر . وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعاً =



الأول : الأمر به . نحو قوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 اسْتَمِعُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا  
 بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [ البقرة ٤٥ ] وقوله : ﴿ اصْبِرُوا  
 وَصَابِرُوا ﴾ [ آل عمران ٢٠٠ ] . وقوله : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا  
 صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [ الحل ١٢٧ ] .

الثاني : الهى عن صده كقوله ﴿ مَا صَبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو  
 الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَحِيلُ لَهُمْ ﴾ [ الأحقاف ٣٥ ] وقوله :  
 ﴿ فَلَا تَوَلُّوهُمْ آلَافِكَارَ ﴾ [ الأساء ١٥٠ ] . فإن تولية الأدبار :  
 تراء للصبر والمصابرة . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا  
 أَعْمَالَكُمْ ﴾ [ محمد ٣٣ ] . فإن إبطالها ترك الصبر على  
 إتمامها . وقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ [ آل عمران ٣٣ ]  
 فإن الوهس من عدم الصبر .

الثالث : الثناء على أهله كقوله تعالى : ﴿ الصَّابِرِينَ  
 وَالصَّادِقِينَ ﴾ [ آل عمران ١٧٠ ] . وقوله : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي  
 الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُتَّقُونَ ﴾ [ البقرة ١٧٧ ] وهو كثير في القرآن .

الرابع : إيجابه سبحانه محنته لهم كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يُجِبُ  
 الصَّابِرِينَ ﴾ [ آل عمران ٤٦ ] .

- الخامس : إيجاب معيته لهم ، وهى معية خاصة ، تتضمن حفظهم

ونصرهم وتأيدهم ، ليست معية عامة ، وهى معية العلم والإحاطة

كقوله : ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ الأعراس : ٤٦ ]

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة : ٢٤٩ ] .

السادس : إخباره بأن الصبر خير لأصحابه ، كقوله : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [ السجدة : ١٧ ] . وقوله : ﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [ النساء : ٢٥ ] .

السابع : إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم . كقوله تعالى :

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ السجدة : ٩٦ ] .

الثامن : إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب . كقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ الزمر : ١٠ ] .

التاسع : إطلاق البشرى لأهل الصبر . كقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة : ١٥٥ ] .

العاشر : ضمان النصر والممدد لهم . كقوله تعالى : ﴿ نَلَّحْ

إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يَتَذَكَّرْكُمْ رَبُّكُمْ  
بِمَحْسَرَةِ الْآلِ مِنْ الْكَلْبَةِ الْمَكْحُومِينَ ﴿١٢٥﴾ [آل عمران : ١٢٥] ، ومه  
قول النبي ﷺ : « واعلم أن النصر مع الصبر »<sup>(١)</sup> .

الحادى عشر : الإخبار مه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل  
العزائم . كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ لِذَلِكَ لِمَنْ  
عَزَمِ الْأُمُورَ ﴾ [الشورى : ٤٣]

الثانى عشر : الإخبار أنه ما يُلْقَى الأعمال الصالحة وجزاءها  
والخطوط العظيمة إلا أهل الصبر كقوله تعالى : ﴿ ... وَيَلْعَنُكُمْ  
نَوَافِلُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَنَهَا إِلَّا  
الضَّالُّونَ ﴾ [القصر : ٨٠] . وقوله : ﴿ وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ  
صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حَقٍّ عَظِيمٍ ﴾ [ممت : ٣٥] .

الثالث عشر : الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل  
الصبر . كقوله تعالى لموسى : ﴿ ... أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد في المسند [٣٠٧/١] ، والحاكم في  
المستدرک [٥٤١/٣] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلفظ :  
« واعلم أن مع الصبر النصر » . وصححه الشيخ شاکر برقم  
[٢٨٠٤] .

مَكَ أَظْلَمَتْ إِلَى السُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِأَنْتُمْ اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ [إبراهيم ٥] وقوله في أهل سبأ . ﴿٦﴾ . . . فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩٠﴾ . [سورة الشورى ١٩٠] وقوله في سورة الشورى ﴿٣٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْخَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظُنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿الشورى ٣٣﴾ .

الرابع عشر : الإخبار بأن الفور المطوب المحبوب ، والسحابة من المكروب المرهوب ودحور الجنة إنما نالوه بالصبر كقوله تعالى : ﴿٧٠﴾ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ عُنُقِي الدَّارِ ﴿٧٠﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] .

الخمس عشر : أنه يورث صاحبه درجة لإمامة . سمعت شيخ الإسلام بن تيمية قدس الله روحه - يقول . بالصبر واليقين تسل الإمامة في الدين . ثم تلا قوله تعالى : ﴿٧١﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿السجدة ٢٤﴾

السادس عشر : اقتراه بمقامات الإسلام والإيمان ، كما

= قرنه الله سبحانه باليقين والإيمان وبالتقوى والتوكل ، وبالشكر  
والعمل الصالح والرحمة ؛ ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة  
الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له . كما أنه لا جسد  
لمن لا رأس له .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « حير عيش  
أدركناه بالصبر »<sup>(١)</sup> .

وأخبر السبى عليه السلام فى الحديث الصحيح : « أنه ضياء »<sup>(٢)</sup> .  
وقال : « من يتصبر يصبره الله »<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) أخرجه البخارى مُعَلَّقًا بصيغة الجرم . وقال الحافظ فى الفتح :  
قد وصفه أحمد فى كتاب الزهد بسند صحيح عن محاهد  
قال : قال عمر : « وجدنا حير عيشا الصبر » . ورواه أبو نعيم فى  
الخليعة من طريق أحمد كذلك . ورواه عبد الله بن المبارك فى  
كتاب الزهد من وجه آخر عن محاهد به . فتح البارى [٣٠٩/١١] .
- (٢) أخرجه مسلم [١١/٢٢٣] ، عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه .
- (٣) أخرجه مسلم [١٢٤/١٠٥٣] ، عن أبى سعيد الخدرى رضى  
الله عنه .

= وفي الحديث الصحيح : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ؛ إن أصابته سرء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (١) .

وقال للمرأة السوداء التي كانت تصرع فسألتها : « إن شئت صبرت ، ولك الجنة وإن شئت دعوت الله - - » فقالت إني أتكشف فادع لله أن لا أتكشف . فدعا لها (٢) .

وأمر الأصبار رضي الله تعالى عنهم بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده حتى يلقوه على الخوض (٣) .

وأمر عد ملاقة العدو بالصبر ، وأمر بالصبر عند المد : وأخبر : « أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى » (٤) . =

---

(١) أخرجه مسلم [٦٤/٢٩٩٩] ، عن صهيب الرومي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٥٢] ، ومسلم [٥٤/٢٥٧٦] ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

(٣) أخرجه البخاري [٤٢٣٠] ، ومسلم [١٣٩/١٠٦١] ، عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه .

(٤) أخرجه البخاري [١٢٨٣] ، ومسلم [١٤/٩٢٦] ، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .

اللَّهُ تبارك وتعالى يطلب من المؤمنين أن يستعينوا بالصبر  
ولصلاة في أى أمر فى حركة الحياة يفوق طاقة المؤمن وقدرته ؛  
لأن أى أمر لو كان فى مقدور الإنسان لما طلب المعونة ، ولنا أن  
نسأل : متى يطلب الإنسان لمعونة ؟

الإنسان يطلب المعونة عند عدم القدرة . إذن .. لابد أن  
تستوعب قدرة الإنسان الفعل فيستطيع إنجازه ، ولكن ماذا  
يفعل الإنسان حين يجرىء فعل يفوق قدرته ؟ ساعتها يجب  
عليه أن يستعين بالقادر الذى لا تنهد قدرته أبداً .

---

= وأمر ﷺ المصاب بأفقع الأمور له ، وهو لصبر والاحتساب ؛  
فإن ذلك يحفف مصيبته ويوفر أجره . والجزع والتسخط  
والتشكى يريد فى المصيبة ، ويذهب الأجر . وأحبر ﷺ أن  
الصبر خير كله : فقال : « ما أعطى أحد عشاء خيراً له وأوسع  
من الصبر »<sup>(١)</sup> . مدارج السالكين [ ١٧٤ / ٢ : ١٧٨ ] .

---

(١) أخرجه البخارى [ ١٤٦٩ ] ، ومسلم [ ١٠٥٣ / ١٢٤ ] ، عن أبى  
سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه .

إن هذه الآلة يستطيع المؤمن أن يسير على هداها في كل حركة في الحياة ، فيقبل على الأشياء مستعياً بمن خلق الأشياء سبحانه ، ولا يستعين الإنسان بالخالق جل وعلا إلا إذا كان مؤمناً به .

وقول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾ معنى ذلك : أن الحق ينبها إلى أن هناك أحداثاً ستأتى لتستفد الطاقة البشرية وتعدو عليها وتتخطاها ، والصبر هنا يدل على أن هذه الأحداث فيها إيلام وفيها مشقة ، وكأن الحق يعد النفس لمؤمنة لعملية جهادية كبيرة قد تستفد طاقة الإنسان العادى . لكن المؤمن يستطيع أن يتحمل مشقة الأحداث بالصبر على ما يلاقيه . إن الحق لا يُصْنِ المؤمنين الذين احتاروا السير على الصراط المستقيم فى الحياة . بأن طريق الإيمان طريق سهل حادٍ من المشاق . إن مهمة أهل الطريق المستقيم فى الحياة أنهم أصحاب حق ، وأصحاب الحق لا تستنفر همهم إلا حين يستشرى الباطل ، والباطل حين يرى دنياه تزلزل من تحت أقدامه فهو يحول جاهداً أن يصدّ حود الحق .



إن الله يَعِدُ المؤمنين بأنهم سيواجهون عفاً ويواجهون شراسة ويواجهون مكرًا ويواجهون كيداً ، فإياكم أيها المؤمنون أن تخور منكم القوة وأنتم تؤدّون المهمة ، هذه المهمة هي : إعلاء كلمة الله في الأرض ؛ وإخراج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله الواحد الفهار ، وهذا الأمر لن يتم بيسر وسهولة ، فلا بد من المشقة وتحمل تعات ذلك .

إن أعداء الإسلام سيتكالبون عليكم ، فكونوا أنتم أشد منهم قوة واستعينوا بالصبر . والصبر هو أن يتحمل الإنسان لوين من المشقة .

اللون الأول من المشقة هو : أن الطاعة قد تكون صعبة على النفس ، فعلى المؤمن أن يصبر عليها .  
واللون الثاني من المشقة هو : أن الطاعة تتطلب أيضاً أن يكف الإنسان عن شهوة تلح النفس عليها<sup>(١)</sup> ، وهذا أيضاً يتطلب صبراً .

---

(١) ولذلك فقد قَسَمَ العساء « الصبر » إلى أنواع ، وذلك بالنسبة لما يستقبله العبد من أمور في حياته ، وإلى أنواع أخرى بالنسبة لعلاقة المسلم بربه ، وعرفوا الصبر لغة وشرعاً ، وها نحن

= نذكر كلامهم على وجه من الاختصار غير المختل ، وأنواع

الصبر لما يستقبله العبد من أمور في حياته هي :

١ - الصبر في اللغة : احس والكف ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ  
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُ ﴾ [الكهف : ٢٨٠] أى . احس نفسك معهم ، كما قال  
الإمام ابن القيم . مدارج السالكين [ ١٧٨ / ٢ ] .

٢ - الصبر شرعاً : حبس النفس على ما يقتضيه الشرع ،  
فهو حبس النفس عن الجرع والتسخط ، وحبس اللسان عن  
الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعاصي والبعد عن الله نتيجة  
ظروف الحياة .

وقد قال الراغب : فالصبر لمظ عام ، وربما خولف بين أسمائه  
بحسب اختلاف مواقعه ، فإن كان حبس النفس لمصيبة سُمِّيَ  
صبراً لا غير ، ويزاده الجزع .

وإن كان في محاربة سُمِّيَ شجاعة ويزاده الجس .

وإن كان في نائبة مضجرة سُمِّيَ رحب الصدر ، ويزاده الضجر .

وإن كان في إمساك الكلام سُمِّيَ كتماناً ويزاده المنل ، وقد سمي

الله تعالى كل ذلك صبراً . مفرد ألفاظ القرآن [ ص ٤٧٤ ] . -

إذن .. فالطاعة تتطلب صبراً في حالة تنفيذ مطلوبها ،  
وتتطلب صبراً آخر في حالة الابتعاد عن المشقة ، إن الطاعة  
تتطلب الصبر على القيام بعمل قد يرى الإنسان أنه شاق ،  
وتنهي عن عمل قد يرى الإنسان أنه سهل وفيه لذة ، لذلك  
نجد الرسول ﷺ يقول في الحديث : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ ،  
وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » (١) .

= وللصبر أنواع أخرى منها :

١ - الصبر لله « فلا يرأى فيه » لقول لله تعالى : ﴿ وَمَا  
أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البقرة : ١٧٥] .

٢ - الصبر بالله : قال تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا  
بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ رِمًا أَفْرِغْ عَلَيَا صَبْرًا وَتَوْفِقًا  
مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

٣ - الصبر عن الله : وهو حرام ، وذلك لمن ذاق حلاوة القرب  
من الله عز وجل ثم صبر على البعد عنه بعد ذلك .

مدارج السالكين [ ٢ / ١٧٨ ] وما بعدها .

(١) أخرجه البخاري [ ٦٤٨٧ ] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم  
[ ٢٨٢٢ ] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه واللفظ له .

الطاعة إذن تتطلب لونين من الصبر ، الصبر على مشقة الطاعة لتفعلها ، والصبر على ترك العصية لتتجنبها ، لكن إذا ما ظلت النفس مع الله تعالى باتباع أمره واجتناب نهيه فلن تقدر أحداث الحياة أن تتسلط بالهموم على النفس الإنسانية .

إن الإنسان المؤمن ما دام في حصانة دينه فلا يقوى عليه حدث أبداً ، أما الإنسان المنعزل عن منهج الله فهو الذي تقوى عليه أحداث الحياة ، لأنه يواجهها بقدرته المحدودة ، وأما الإنسان المؤمن بمنهج الله فهو يعيش في معية ربه القادر التقدير ، فلا يتغلب عليه أحد أبداً إلا إذا انعزل عن معية ربه أو خالف في شيء من منهجه ، فإن أراد المؤمن أن يستديم صبر الله ، فليظل دائماً في معية الله ، واحق يكون مع الصابرين ؛ حتى يعلموا أن الله تعالى يفرح عنهم .

إن أمر الحق للمسلمين بالصبر والصلاة ، هو تجديد استدامة الولاء له سبحانه عندما هاجروا من مكة إلى المدينة ، وكان اليهود فيها أصحاب شيء من لعنهم ؛ ولهم جزء من السيطرة على الاقتصاد ، لذلك حاء أمر الله بالاستعانة بالصلاة لتستمر

القيم التي هجرها اليهود ، وأمرهم الحق بالزكاة ، لأن الزكاة  
في جوهرها إيجاد حركة من الإنسان ؛ لتسع حاجته  
وحاجة من يعول وتزهد ، وبذلك يستغنى المسلمون عن  
اليهود فلا يحتاجون إلى اقتصاد يسيطر عليه هؤلاء الذين  
لعنهم الله .

إن الأمر بالزكاة كان في جوهره أمراً بزيادة الحركة في الحياة ؛  
ليواجه المسلمون أمور حياتهم بحزم ، ويصلحوا من هذه  
الأمور بمنهج الله .

إن الحق سبحانه وتعالى يعلم أن تبعات الإيمان ، ومواحهة  
المؤمنين لحصوم لإيمان ستتطلب من المسلمين مشقة عنيفة ،  
فهى تهددهم في دواتهم وفي أهلهم وفي أموالهم ؛ لذلك أراد  
الحق سبحانه وتعالى أن يعطى المؤمنين في هذه البيئة ساعة صد  
كل هذه الأشياء ، فأمرهم بالاستعانة بالصبر والصلاة ، فقال  
تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ  
مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة : ١٥٣ ] .



## الصلاة .. وتكفير الذنوب

بعد أن قال سبحانه وتعالى . ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود ١١٤]  
وهكذا كشف الله تعالى وجهها من حكمته سبحانه في القيام بالصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل وهي أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر<sup>(١)</sup> ، ولكن ما هي الحسنة وما هي السيئة ؟ الحسنة هي ما رتب الله تعالى على عملها ثوابا ، والسيئة هي ما جعل الله سبحانه على عملها عقابا .  
وأولى حسات الإيمان أن نشهد أن لا إله إلا الله فَتُذْهِبُ حسنة الإيمان سيئة الكفر .

وقال بعض العلماء : إذا كان الإيمان حسنة أذهبت سيئة الكفر ؛ فإيا من تقول : إن المؤمن الذي عمل الذنوب الكبائر سيخلد في النار ، ما الفرق بين إنسان عصي وهو مؤمن

---

(١) أخرح مسلم [١٤/٢٣٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما يسهي إذا اجتنبت الكبائر » .

وإنسانٍ عصي وهو كافر ؟ وإذا كان الإيمان حسنة أذهب الله تعالى بها الكفر ، ألا يذهب بها سبحانه ما هو دون لكفر ؟ نقول : بلى ؛ إن الإيمان حسنة أذهب الله تعالى بها سيئة الكفر ، فالمؤمن العاصي مهما كانت معصيته لا يخلد في النار ؛ لأنه ليس من العدل لمساواة بين من آمن بالله تعالى ولكنه حدث عنه بعض التقصير في أمور ، وبين من لم يؤمن بالله أصلاً . إذن .. كلمة الإيمان قد صغت حسنة كبيرة ، بأن أذهبت الكفر أولاً فمنعت خلود المؤمن في النار ثانياً ، ولذلك من عقيدة الفرقه الناجية التي جاءت في أحاديث رسول الله ﷺ أن المؤمن العاصي لا يخلد في النار ، وإن كان يدخلها بقدر ما ارتكب من المعاصي ، إذا لم تتداركه رحمة الله تعالى بأن تكون حسناته أكثر في ميزانه من سيئاته ، أو يشفع الله تعالى فيها ، أو تناله شفاعة النبي ﷺ ، أو يشفع فيه أحد من المأدون لهم في الشفاعة .

والحسنة هي الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده ، إذن .. فالحسنات التي هي الفرائض تذهب بالسيئات التي هي المعاصي ، وما يوجب عذاب الله . ولكن هناك أحاديث

وردت في غير الفرائض ، منها مثلاً : صوم يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية <sup>(١)</sup> ورسول الله ﷺ قال : إن الإنسان الذي يستقبل نعمة الله بقوله : الحمد لله الذي رزقني بغير حول مني ولا قوة ، والحمد لله الذي كساني من غير حول مني ولا قوة ، هذا الحمد يكفر الذنوب ، وإذا قلت : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله تكفر الذنوب .

إذن .. فالحسنات تكون فرضاً وتكون غير فرض ، وكلها تحسب حسنات ؛ والسيئات هي عمل توعد الله من يعمله بالعقوبة ، فكيف تذهب الحسنات السيئات ما دامت السيئات عملاً ؟ وهل العمل إذا وقع يرفع ؟ كيف تذهب الحسنة السيئة ؟ نقول : إن السيئة إذا وقعت لا ترفع ؛ لأن الذهاب إما أن يكون ذهاب فعل ، وهذا ليس متأتياً ، وإما أن يكون ذهاب أثر

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم [١١٦٢/١٩٧] عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه .



ذلك الفعل ، وهذا هو الذى يحدث ، فالله سبحانه وتعالى  
يمحوه من كتاب سيئاتك .

إذن .. فيذهب الفعل في ذاته لا يحدث ؛ لأن الواقع لا  
يرفع وقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ  
الْأَسِيَّاتِ ﴾ [هود - ١١٤] ليس معناه أنها تمنعها ؛ لأن السيئة  
وقعت فعلاً ، ولكن السيئة إذا وقعت فإن الذى يترتب عليها  
من عقاب هو الذى يرفع بموجب فعل الحسنة .



## الصلاة تفرج الهموم

يروى أن رجلاً كان يسير في الليل ، فرأى الجنود الذين يراقبون الطرقات ، فقال الرجل في نفسه : قد يظلمني الجند بسؤالي أين كنت ؟ وإلى أين أنت ذاهب ؟ لذلك سأجرب معهم وأختفي في أي مكان ، وجرى الرجل واحتبأ في مكان خرب ، وداهم الجند ذلك المكان ووجدوا فيه قتيلاً ، وكانت كل الملابس تشير إلى أن الرجل هو القاتل ، واقتاد الجند الرجل إلى الحاكم . فماذا كان من الرجل ؟ لقد طلب الرجل أن يتوصأ وأن يصلي ركعتين لله ، وأمهله الحاكم ، فصلى الرجل ودعا الله قائلاً : « اللهم إني أعلم أنه لا شاهد لي على براءتي إلا أنت ، وأنت أمرتنا ألا نكتم الشهادة فأسألك ذلك في نفسك » .

لقد كان الرجل يؤمن يقيناً بأن الله قد أمر المؤمنين ألا يكتموا الشهادة ؛ لذلك سأل الرجل ربه الحق أن يظهر براءته ، وعلى الفور دخل على الحاكم فجأة رجل وقال : أنا اقاتل ،

فتمعجب الحاكم ، وسأل الرجل الذى جاء بيقر أنه قاتل : لماذا  
تعترف على نفسك ولم يرك أحد ؟  
قال القاتل : والله ما قررت ، إنما جاء هائف فأجرى لسانى  
بما قلت .

القاتل يعترف أن هائفاً قد جاء إليه فحرك خواطره فسار إلى  
الحاكم ليعترف أنه القاتل ، وهنا قام وليُّ المقتول وصاحب  
الحق فى الدية ، وكان هو ابن القتل ليقول : « اللّهُمَّ إِنِّى  
أشْهَدُكَ أَنِّى أَعْفَيْتَ قَاتِلَ أبى مِنْ دِيْنِهِ » .

إن تلك الحكاية تمكّى للدلالة على طلاقة قدرة الحق سبحانه .  
مظلوم برىء يصلى ركعتين للحائق كما علمنا رسول الله  
ﷺ فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى <sup>(١)</sup> ، إن  
الإنسان عندما يقف بين يدى ربه ويناجيه فالحق سبحانه  
هو القادر وحده على أن يعطى الإنسان مسأله لأننا جميعاً فى  
قضته يفعل بـ ما يشاء وقت ما يشاء ، لا رادّ لأمره ، ولا معقب

---

(١) رواه أبو داود [١٣١٩] عن حذيفة رضى الله تعالى عنه ،  
وحسه الألبانى فى صحيح أبى داود [١١٧١] ، وأحمد فى  
المسند [٣٨٨/٥] .

لحكمه ، فعلينا أن نَصْدُقَ في التوجه إليه ، ونخلص النية في الطلب ، ونكثر في الوقوف بين يديه ، فالصلاة لها شأن عظيم ، فهي ركن للإسلام الوحيد الذي فرض بالأمر المباشر من الله تعالى لرسوله ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج <sup>(١)</sup>

---

(١) انظر كتاب : شرح حديث الإسراء والمعراج للشيخ الإمام .  
باب : الصلاة هدية القرب للقرب ، وهو من منشورات مكتبة التراث الإسلامي .

وقال الإمام القسري الصلاة هي أكبر شعب الإسلام بعد الشهادة لله وللرسول ، فأما كونها من شعب الإسلام فبين في حديث جبريل وغيره من الأحاديث ، كيف وقد روى جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » <sup>(١)</sup> .

وصفتها وما تحتاج إليه من أمور كل ذلك مكتوب في -

---

(١) رواه الترمذى [٢٦٢١] ، وابن ماجه [١٠٧٩] ، والبيهقى في السنن الكبرى [٣٦٦/٣] ، وأحمد في المسند [٣٤٦/٥] ، والحاكم في المستدرک [٧،٦/١] ، وصححه الألبانى في صحيح الترمذى [٢١١٣] .

- كتب الفقه ، وأقل ما يجزئ العبد في فعلها ما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وجماعة من الرواة . أن رسول الله ﷺ دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ فرَدَّ رسول الله ﷺ عليه السلام . قال : « ارجع فصل فإنك لم تصل » . فرجع الرجل فصلى كما كان صلي ، ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « وعليك السلام » ثم قال : « ارجع فصل فإنك لم تصل » حتى فعل ذلك ثلاث مرات . فقال الرجل : والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا ، علمي . قال : « إذا قمت إلى الصلاة فكن ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها » (١) .

(١) أخرجه البخاري [٧٥٧] ، ومسلم [٤٥/٣٩٧] ، وأبو داود [٨٥٦] ، والترمذي [٣٠٣] ، والنسائي [١٢٤/٢] وابن ماجه [١٠٦٠] وأحمد في المسند [٤٣٧/٢] .

= ومنها : فرائض كالصلوات الخمس ، وصلاة الجنازة ، وفي الآثار : أن اتباع الجنازة من لإيمان ، فهي شعبة من الإيمان - أعنى اتباع الجنازة لأنها تذكر بالآخرة ، والوقوف بين يديه سبحانه والجرأ والثواب والعقاب ، لكنا احتصرنا ذكرها ؛ لأنها من حملة الصلوات فم نفرد بها باباً ومنها . سنر كصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف والوتر وركعتي الفجر .

ومنها : فصائل كسائر النوافل . وتأدية الصلاة وإقامة ركوعها وسجودها وتلاوتها طاهراً لإسلام ، فأما روح الصلاة وفهم معانيها فى مقام الإيمان ومقام الإحسان ، فإن أولها بعد التطهير والنظافة والادخول على الملك ، الانتهاض إلى موضع الصلاة ، وهى القعة المقدسة من مسجد مبى وغير مبى ، والمراد بالانتهاض والمشى : انتهاض القلب والباطل وسيره ودخوله إلى عالم الملكوت وخروجه عن عالم الدنيا ؛ حتى يدخل إلى متعدد الملائكة الذى وجب الإيمان بهم فى العالم المقدس ، الذى ليس فيه ما يشغل عن الصلاة . ثم القيام إلى الصلاة ، والمراد : قيام القلب إلى أعلى عليين =

= بين يدي الله تعالى .

ثم إحضار النية ، والمراد بها : التقرب إلى الله بالصلاة ، وإخراج ما في القلب سوى من أقبل عليه ، وذلك إشراف على من توجه إليه وعينه من غيره ، فإذا أشرف على المطلوب يرفع الحجب الشعلة عن القلب وقع له تعظيم المتحصى له ، وخلطته حرمة واحترامه ، فحيث يحرم بتكبير الإحرام ، لأنه في موضع الاحترام والحرمة ، فيحرم عليه النظر إلى غيره والاشتغال بسواه فيقول : « الله أكبر » من أن يقل على غيره أو يلتفت له من أجل ما عرف من جلالة القدر وعظيم الخطر ، أخذ في الشاء على الله بالفاحة فيقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الذي هو على ما هو عليه ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي : سيد العالمين فتحلى له صفة السيدة لله التي استعبد بها العالمين على كثرتهم ، ويشئ عليه بصفاته ، ويأجيه بكلامه ، فيفهم من كلامه ومحادثته مع الله بفاحة الكتاب والسورة ما يوجب له الخضوع بين يديه ، فيركع لزيادة التعظيم بشهادة أوصاف المتكلم معه ، فيقول : « الله أكبر » محطاً للركوع أي : أكبر مما وقع في نفسى من تعظيمه .

= والمراد من ركوع الجسد : خضوع النفس والروح فى مقام الإيمان والإحسان بين يدى كبرياء اجسل العظيم .  
ولذلك أمر أن يقول فى ركوعه « سبحان ربي العظيم » لما شاهد من معنى التعظيم الذى خضع له فيرفعه الله تعالى بكرمه إلى حالته الأولى التى هرب منها إلى الركوع ؛ لأن من تواضع لله ، أى : لأجل عظمة الله ، رفعه الله إليه ، وإذا رفعه إليه شاهد العبد نعمة الله عليه فى رفعه ، فيستدئ بالحمد والشاء فيقول : « سمع لله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا » فيجد فى وقوفه طمأينة حلوة المزيد ، والنعمة التى رفعه الله بها ، وهى استدعاؤه إلى القيام فخر سبحانه شاكرًا لما أولاه ، فيضع وجهه على لأرض ظاهرًا ونفسه وروحه تحت الثرى الذى ليس وراءه فى السفلى منتهى إلا نعوس العارفين والأولياء ؛ لأنهم لما هو عليه من الأسماء الحسى والصفات العلى شهداء ، فيصعب نفسه تحت كل تحت ، ولذلك ليس وراء السجود منتهى فى التواضع والتكبير مستصحب له ، ومعاه ، أى : الله أكبر مما شاهدت ووقع فى نفسى من تعظيمه وأعلى .  
=



فإذا وضع في السجود نفسه أسفل من كل سهل ، بالمعنى  
الذى هو الدن ، شاهد من صفته علاء ربه فقال : « سبحان  
ربى الأعلى » فاستدعاه ربه للرفع والقرب من البعد والمرل  
الذى أنزل نفسه في سجوده .  
ومعنى التسبيح في الركوع والسجود . تنزيه المركوع له  
والسجود له من حالة الركوع والسجود ، أى : سبحان من  
هو بخلاف حالة الركوع والسجود .  
فما استدعاه للرفع قعد بالعجز بين يديه ؛ لأنه لم يطلق القيام  
لما شاهد في السجود من الإجلال والإعظام ، فقعد بين يديه  
بالسكينة والعجز وأقر بالعجز له أن يقوم بشيء من حق قدر  
ربه ، ولذلك أمر أن يقول في قعوده بين لسجودتين : « رب  
اغفر ورحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم » ، فيجد  
رحمة الله قد غشيت ، والمغفرة قد غمرت ، لأنه تجلى له بوصف  
زائد على الوصف الأول من أحسن أن الرحمة مقرونة بالضعف  
ومسرعة إلى الاستكانة ، فزاد سجوداً آخر بحكم وصف آخر ،  
فعاد بالتواضع الذى هو المراد من السجود ، حتى لو وجد أن  
يضع نفسه في أسفل مما وضعها فيه لوضعها وقد وحد الله =

مع كل رفع وخفض ، فإن الواجب على كل عبد أن يضع نفسه من التواضع في خلاف ما هو الله عليه من الجلال والعظمة ، وذلك لا يمكن أبدًا إلا مع التحلى وزيادة التعظيم ، فكلما راد نجى الصفات راد التواضع بقدر ذلك أبدًا .  
وكذلك لما زاد الإكرام راد الشكر والثناء والتجلى دائمًا أبد الأبد .

وكذلك لتواضع دائم أبد الأبد ، والشكر والثناء وجميع ما يليق بتجلى أوصاف الباري ، والحمد لله على ما هو عليه . ثم يدعوه ربه إلى الاقتراب منه ، وهو معنى القيام إلى الركعة الثانية ، فيجرى له ما جرى له في الأول بحكم الزيادة ؛ لأن الصلاة إنما هي ركعة واحدة فيها تمت معاني الصلاة وعبر ذلك من الركعات تكرير ، فلا يزال ذلك دأبه مع مولاه من فهم خطابه ، وشهود أوصافه في قيامه وانحطاطه ، ورفوعه وأذكاره وسجوده ، وجلوسه إلى آخر صلاته حتى يملى ظاهره وباطنه نورًا وبركة ورحمة وسرورًا وتواضعًا وحياءً ، وغير ذلك مما لا يحصى من أحوال المصلين العارفين الخاشعين ، فعند ذلك يقعد في آخر صلاته ، فيأخذ في التشهد والشهادة لله بما هو له أهل والثناء كما يجب ، وتفرد التحية والملك له ، والتزكية =

---

والتنزيه والمدح لبارئه بقول : « التحيات لله الراكيات لله  
الطيبات »<sup>(١)</sup> .

وتفرد العبودية له بقوله : « الصلوات لله » ويسلم على أكرم  
الوسطاء الذي هداه الله به إلى ما هو فيه محمد عليه الصلاة  
والسلام ، ثم يقر بكل ما جاء به من عند الله ويصلى عليه .  
فإذا فرغ من الإقرار والشهادة بكل ما جاء به محمد عليه  
الصلاة والسلام من الإيمان من العيوب والدعاء والسؤال ، فعند  
ذلك تمت له النعم بتمام الصلاة وكمالها ، ووجب التحلل منها  
بتمامها ، فأمر بالخروج إلى عالم الحسن والمملك فعند ذلك قال  
« السلام عليكم » ؛ لأنه كان في الحصرة العنية خارجاً عن  
عالم الحسن مودعاً له ، كما قال محمد عليه الصلاة والسلام  
« صل صلاة مودع »<sup>(٢)</sup> .

- 
- (١) رواه الترمذى [٢٨٩] ، وأبو داود [٩٧١] ، وابن ماجة [٨٩٩]  
والنسائى [٢٣٧/٢] ، وأحمد فى المسند [٤١٣/١] .  
(٢) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٢٢٩/١٠] ، والزبيدى  
فى إتحاف السادة المتقين [١٦١/٣] ، والمنذرى فى الترغيب  
والترهيب [٢٤٧/٤] والألبانى فى الصحيحه [١٩١٤] .

= أى : لأنه خارج عن هذا العالم إلى الحضرة العلية ، فإذا قدم على هذا العالم وشاهد من حوله من الأملاك والإنس قال : « السلام عليكم » فيسلم على من على يمينه وشماله ، وقد حل له ما حرم عليه قبل ذلك ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « تحريمها التكبير وتحليلها التسليم » (١) .

فمن صحت له مثل هذه الصلاة وجبت له الكرامة عليها ، ومن اعترضه الوسواس فليجاهد يكتب له أجر المجاهد إذا فاته معية الإحسان ، ومن اقتطعت العفلات أمثالا ، ونُعدم النصيب الأوفر ومشاهدة المذكور الأكبر كتب له ما عقل ، وذلك فصل عظيم من الله ؛ لأن صلاته كانت في موجب الأدب أسرع إلى العقوبة منها أن يكتب له ما عقل ؛ إذ لا يدري بين يدي من هو حتى يعرض إلى غيره بقلبه وهو واقف راکع ساجد بجسده . فعليه أن يكثر التهلل ؛ ليجبر ذلك القصر ، فإنه مطالب به كما ورد . أن النوافل جبر الفرائض ؛

- 
- (١) أورده الزيلعي في نصب الراية [٣٠٧/١] ، وابن عبد البر في التمهيد [١٨٢/٩] ، والقرطبي في التفسير [٦٢/١٩] .  
والهيثمي في مجمع الروائد [١٠٤/٢] .

- لأنه سم يؤدها على الوجه الذى يجب والمعنى الذى أمر به ،  
ولم يكف الله الخلق من العبادة إلا ما يصيقون ، لكن شغلهم  
بغير ذكر الله حرمهم واقتطعهم عما افترض عليهم .  
ونسأل الله الكريم أن يتغمدنا برحمته ، ويتجاوز عن ذنوبنا  
وتصيرنا برحمته ، فلو لم تكن لنا ذنوب إلا التقصير فى أداء  
الفرائض لكان كافياً .

فهذا هو روح الصلاة من حيث المعنى .  
وقد تنظم فيما تقدم من الكلام المقامات الثلاثة من لإسلام  
والإيمان والإحسان . فافهم .  
وأما فهم لصلاة من جهة تركيبها وتفاصيل أعضائها وهيئاتها ،  
بأنها على صورة عبادة العالم الكلى ، وعلى هيئة صلاة  
العابدين فيه .

فالقيام إلى الصلاة ليكون مع الدين يعرجون إلى الله تعرج  
الملائكة ؛ ليكون مع الراكعين الخاضعين ، والرفوع ليكون مع  
لصاعرين والسجود ليكون مع الساجدين والفكر والجولان  
بالفهم والعقل ليكون مع السائحين السابحين الدائرين  
والحضور ؛ ليكون مع الحاضرين الروحانيين ، ووجود =

= الراحة والنعيم بها ؛ ليكون مع الملائكة المقربين المشتاقين المحبين ،  
والخشوع ؛ ليكون مع الخائفين والمكرويين ، واجاهدة  
بالأذكار ؛ ليكون راجئاً للشياطين كالفلكيين ، وإلقاء السمع مع  
المراقبين ورمر المعاني في دعاء المهم ؛ ليكون مع الحافظين الكاتبين .  
ومع هذا كله فلا يقوم شيء من حق الله عز وجل لعظيم ما  
هو الله عليه من جلال القدر وعظيم الخطر ، لكن يجد لراحة  
في شهود المنة ؛ إذ هو ربه على ما هو عليه من أوصافه ومع  
ذلك استدعاه إلى أن يكون من عباده المؤمنين ، فيستشعر في  
نفسه ذلك ويقول : كيف ذكرني هذا الملك العظيم في نفسه  
حتى يرل من جلال كبريائه إلى صفات حسنه ورحمته حتى  
كلمني بكلامه ، واستدعاني لأن أكون من جملة المصلين من  
عباده ؟! فيسوى ويتمنى ويود في نفسه أن لو كان تقرب إليه  
بعبادة الخلق أجمعين على غاية الصفاء لو قدر على ذلك ،  
فبهذا تفهم قوله : « نية المؤمن خير من عمله »<sup>(١)</sup> .

(١) رواه الطبراني في الكبير [١٨٥/٦/٥٩٤٢] ، وهو في  
مسند الشهاب [١١٩/١/١٤٨] وقال الهيثمي في =

ثم يشهد عجزه وتقصيره عن ذلك ، فيرجع إلى رؤية التقصير والاستغفار من قلة القيام ببعض الواجب ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعفر بعد كل صلاة مرات ، وورد ذلك في الصحيح ، فيتوب من الحسرات كما يتوب العاصي من السيئات ؛ لأن : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

ولذلك تقول الملائكة يوم اقيامة : سيحديك ما عبدناك حق عبادتك ، عني صفاء عبادتها من شوب الكدورات ، وهذا المعنى الذي تقوله الملائكة هو الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام في قوله . « لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله » .  
قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟  
=

= مجمع الروائد [٦١/١] ورجاله موثقون إلا حاتم بن عماد ابن دينار الجرشي ، لم أر من ذكر له ترجمة وقل [١٠٩/١] : وفيه حاتم بن عماد بن دينار ، لم أعرفه وبفيه رجاله ثقات ، وقال المناوي : أطلق الحافظ العراقي أنه ضعيف من طريقه .

= قال : « ولا أنا إلا أن يتعمدني الله برحمته منه وفضل »<sup>(١)</sup>.

مع اجتهاده وصفات أحواله ، وليس معاه أن العمل ليس ينفع فيكون قوله محرضاً على ترك العمل ، بل قوله هذا مرعب في الاجتهاد لجميع ما يقرب إلى الله تعالى فنبه عليه الصلاة والسلام على عظيم حق الله تعالى الموجب لرؤية التقصير . فالعبادات كلها لها وحها ، تظر مهما مرة بنظر من مقام العبودية ومشاهدة الربوبية ، وهو من هذا الوجه الذي ذكرناه ، فتعرف مقدار المعبود ، وما تقع عاداتك في حقه وجلالة قدره ، فتكون عبادة الخلق أجمعين في ذلك أقل من عزز إبرة في بحر الجني فيولد هذا النظر الإجهاد والانكسار والخصوع والدلة والفقر إلى الله ، وجميع صفات العبودية الحسنى ، التي ساعة واحدة منها خير من عبادة ستين سنة . ومرة يطر من مقام المنة ، وكيف ذكر الملك الأكبر الذي استعد العرش بما حوى في نفسه لهذا العبد الذي لا يدري من هو في كثرة عباد الله ومماليكه ، وكيف ارتضاه للإيمان به ، واستدعاه لعبادته ومناجاته وللقرب منه حتى يجعله من جلسائه ، كما قال : أنا جليس من ذكرني =

(١) أخرجه مسلم [٧٣/٢٨١٦] ، وأحمد في المسند [٥٠٩/٢] واللفظ له .



= فيتولد من هذا النظر أيضًا أحوال كريمة ، لا يعلم حقيقتها إلا العارفون مثل الحياء الكائن عن حضور ، والشكر احادث عن رؤية المنة ، والمحبة المتولدة عن إحسان الله .

إلى غير ذلك مما يشرحه الله في قلوب المختصين بهذا المقام ، وهو معنى قول الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [المكوت : ١٥] أى ذكر الله لعبده فى نفسه أكبر من كل ما يتقرب به إليه ، فعلى هذين الوجهين من النظر درج العارفون فى علومهم وأعمالهم ، وبهما تزكو الأعمال عند الله ، نسأل الله الكريم أن يمسر علينا بما تمّ عبيهم فى الدنيا والآخرة إنه ولى ذلك والقادر عليه .

واعلم أن الوجود كله بأجزائه مُصلّ به بدوام وجود الوجود ، لا ينفك عن الصلاة ، فإنه فى مقام العبودية لله . فمن أدام النظر رأى الوجود كله ظاهرًا وباطنًا مصنيًا .

ومن ترك الصلاة فقد حالف الخليفة كلها ، ولذلك يحشر مع فرعون وهامان كما ورد فى بعض الأخبار : أن تارك الصلاة يحشر مع فرعون وهامان ؛ لأنه تأبى من العبودية والتواضع لله كما فعل فرعون . فافهم .



- فَإِنَّ الَّذِي لَا يَخْضَعُ لِأَحَدٍ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، فَمَنْ صَلَّى بِجَسَدِهِ  
وَفَعَلَ أَرْكَانَ الصَّلَوَاتِ كَمَا أَمَرَ طَاهِرًا ، وَأَنْزَلَ نَفْسَهُ مَعَ كُلِّ  
رُكْنٍ مِنْهَا وَمَعْنَى مِنْ مَعَانِيهَا الْبَاطِنَةُ ، وَفَهُمْ رُوحُهُ وَعَقْلُهُ تِلْكَ  
الْمَعَانِي ، وَشَهِدَ الْمُرَادُ بِكُلِّ رُكْنٍ مِنْهَا وَمَعْنَى مِنْ مَعَانِيهَا ؛ فَقَدْ  
صَلَّى بِجَسَدِهِ ، وَفَعَلَ أَرْكَانَ الصَّلَوَاتِ كَمَا أَمَرَ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ  
وَجَمَلْتَهُ فِي عَالَمِ الْحُسْنِ وَمَقَامِ الْإِسْلَامِ ، وَفِي عَالَمِ الْغَيْبِ  
وَمَقَامِ الْإِيمَانِ ، وَفِي عَيْبِ الْغَيْبِ وَمَقَامِ الْإِحْسَانِ ، وَوَجَدَ  
طَعْمَ الْمَعَانِي الثَّلَاثِ .

مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَيْبُكُمْ بِالْكَمَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . آمِينَ بِمَنْتِهِ  
وَرَحْمَتِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

شُعَبُ الْإِيمَانِ [ ص : ١١٩ : ١٢٦ ] .

## الكسل عن الصلاة علامة من علامات النفاق

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ يُحَدِّثُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾ [الباء ١٤٢]  
كيف يقومون إلى الصلاة كسالى ؟ إن الغايات من الأحداث  
هى التى تضى على الجوارح الإقبال على الأحداث ، فإذا  
كان الحدث الذى تقبل عليه حدثاً تحبه فأنت تقبل عليه بكل  
اشتياق ولهفة ، ولذلك يقيسون لهفة اللقاء فهى التى تحدد  
درجة المحبة .

ولنفرض مثلاً أن رجلاً وزوجته يتقابلان بعد طول عياب  
ما الذى يبين حد الود بينهما ؟ إن لحظة اللقاء تبين ما بينهما  
من مودة ، فإن كانت المسافة بينهما عشر خطوات فكم خطوة  
خطاها الاثنان وبأية سرعة ؟ إنهما قد يسرعان باللهفة فيقطعن  
الخطوات العشر فى ثلاث خطوات مثلاً ، وهذا معناه : تقصير  
زمن اللقاء ، وأيضاً ما الكيفية التى يتم بها السلام ؟ هل

يسلم أحدهما على الآخر يرود ، أم بنصف ود أم بود كبير  
أم بود مصحوب بلهفة وعندق ؟ ثم ما المدة التى يقع خلالها  
الاحتضان هل هى دقيقة أم دقيقتان أم ثلاث ؟

إذن .. فالذى يبين قيمة الود هو لتلهف فى المدة ، وهذه  
العناصر الثلاثة أخذها الشعراء للتعبير عن المودة والحب بين  
البشر ، وقد بدأ كان المتشور بالنساء يسترون فى لسلام  
مودتهم .

وقيل : إنك إذا أردت أن تعرف المودة بين رجل وامرأة  
ومدى لهفة كل منهما على الآخر ، وتحكم بذلك ، فلا بد أن  
تعرف ما الكيفية التى يتم بها اللقاء ؟ فإذا ما صافح الرجل  
المرأة .. فهل يصافحها بتلهف ؟ وهل تبادلها هذه اللهفة ؟ فإن  
وجدت لكف مفرودة للمصافحة فقط فهذا سلام عادى ، أما  
إذا أننى أحدهما إصبعه البصر على كف الآخر فعليك أن ترى  
أى طرف هو الذى قام بشئ إصبعه ليحتضن اليد كلها فى يده ،  
فإن كان ذلك هو الرجل فاللهفة مه ، وإن كان من المرأة  
فاللهفة منها ، وإن كان من الاثنين فاللهفة منهما معاً .

هكذا يقابل الإنسان الأحداث ، فإن كان الحدث ساراً فالإنسان يقبل عليه بهفة ، وإن لم يكن الحدث ساراً فالإنسان يقوم إليه متثاقلاً ، وهكذا كان يقوم المنفقون إلى الصلاة : ﴿ كَسَالَى ﴾ كأنهم يؤدّون الصلاة يخفون بها نفاقهم ويسترون أنفسهم عن أعين المسلمين .

إن قيامهم إلى الصلاة لم يكن شوقاً إلى لقاء الله مثلما كان يقول رسول الله ﷺ لبلال رضي الله تعالى عنه : « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها يا بلال » <sup>(١)</sup> ولم يقل أرحنا منها يا بلال . إذ المؤمن يرتاح عندما يؤدى الصلاة ، أما المنافق فهي عملية شاقة بالنسبة إليه ، إنه يؤدّيها ليستتر بها عن أعين المسلمين ، لذلك يقوم إليها وهو كسلان .

قال الله تعالى عنهم : ﴿ بُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] لماذا إذن يقومون إلى الصلاة ما داموا غير مؤمنين بها ؟ إنهم يقيمون الصلاة ظاهرياً أمام الناس ليخدعوا الناس ، وحتى يراهم المسلمون وهم يصلون ، وهم في هذه الصلاة التي يراعون بها الناس لا يقولون كل المطلوب منهم

---

(١) رواه أبو داود [٤٩٨٥] عن مسعر رضي الله تعالى عنه وقال الألباني : صحيح .

لتمام الصلاة .. إنهم يقولون المطلوب قوله جهراً ، ولا يقومون بما يعترصه الله عليهم ، والمطلوب لتمام الصلاة ما يفعل سرّاً وجهراً مثال ذلك أنهم يقرءون الفاتحة وبعض القرآن ولكنهم أثناء الركوع لا يسبحون باسم الله العظيم وكذلك في السجود إهم يؤدون الجانب الجهرى من الصلاة ولا يؤدون الجانب الآخر . إن فى داخل المنافق تيارين متعارضين : تيار يظهر به أنه مع المؤمنين وتيار آخر مع الكافرين ؛ إن التيار الذى مع المؤمنين يجبر المنافق على أن يقوم إلى الصلاة ، والتيار الذى مع الكافرين يجعله كسولاً عن ذلك ، والتيار الذى مع المؤمنين يجعله يذكر الله قليلاً ، والتيار الذى مع الكافرين يجعله لا يذكر الله ومن هنا فقد جاء فى وصف رسول الله ﷺ لصلاة الفجر أنها صلاة ثقيلة على المنافقين (١) .

---

(١) أخرج مسلم [٢٥٢/٦٥١] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فىهما لأتوهما ولو خبوا . ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلاً فيصلى بالناس . ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حصب ، إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » .

## صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير حتى التسليم كأنك تراها

كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة واستقبل القبلة ووقف في مُصلاه رفع يديه إلى فروع أذنيه <sup>(١)</sup> واستقبل بأصابعه القبلة وشهرها <sup>(٢)</sup> وقال : « الله أكبر » .  
ولم يكن يقول قبل ذلك : نويت أن أصلي كذا وكذا مستقبل القبلة أربع ركعات فريضة الوقت أداءً لله تعالى إمامًا ، ولا كلمة واحدة من ذلك في مجموع صلاته من أولها إلى آخرها .

فقد نقل عنه أصحابه حركاته وسكناته وهيئاته حتى اضطراب لحيته في الصلاة ، حتى إنه حمل بنت ابنته مرة في

---

(١) أخرجه مسلم [٣٩١/٢٥ و ٢٦] ، وأبو داود [٧٤٥] ، وابن ماجه [٨٥٩] ، وأحمد في المسند [٤٣٦/٣ ، ٤٣٧] عن مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه .

(٢) رواه الترمذی [٢٣٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذی [٣٧] .

الصلاة فنقلوه ولم يهملوه<sup>(١)</sup>، فكيف يتفق ملأهم من أولهم إلى آخرهم على ترك نقل هذا الملم الذي هو شعار لدخول في الصلاة ؟ ولعمر الله لو ثبت عنه من هذا كلمة واحدة لَكُنَّا أول من اقتدى به فيها ، وبادر إليها .

ثم كان يمسك شماله يمينه فيضعها عليها فوق المفصل<sup>(٢)</sup> ثم يضعها على صدره<sup>(٣)</sup> ثم يقول : « سبحانك ، اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدس ، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد »<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه البخاري [٥١٦، ٥٩٩٦] ، ومسلم [٤١/٥٤٣] عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه

(٢) أخرجه مسلم [٥٤/٤٠١] ، وأحمد في المسند [٤/٣١٧، ٣١٨] عن رائل بن حجر رضي الله تعالى عنه .

(٣) رواه أبو داود [٧٥٩] عن طاوس وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٦٨٧] .

(٤) أخرجه البخاري [٧٤٤] ، ومسلم [١٤٧/٥٩٨] ، وأبو داود [٧٨١] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .



وكان يقول أحياناً : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حقيقاً مسلماً وما أنا من المشركين ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام] ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بدنبي ، فاغفر لي دنوياً حميماً لا يعفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، وصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، واخبر كنه في يديك ، والشرييس إليك أنا بث وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك » . ولكن هذا إنما يحفظ عنه في صلاة الليل<sup>(١)</sup> .

وربما كان يقول : « الله أكبر كبيراً ، الله أكبر كبيراً ،

(١) أخرجه مسلم [٧٧١/٢٠١] ، وأبو داود [٧٦١] عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

---

والحمد لله كثيراً والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً»<sup>(١)</sup> .

وربما كان يقول : « الله أكبر ، لله أكبر ، لا إله إلا أنت ، لا إله إلا أنت ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده . ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وربما قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفثه وهمزه ، وربما قال : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفثه ونفثه »<sup>(٢)</sup> . ثم يقرأ فاتحة الكتاب <sup>(٣)</sup> ، فإن كانت الصلاة

---

(١) رواه أبو داود [٧٦٤] ، وابن ماجه [٨٠٧] ، وأحمد في المسند [٨٥، ٨٠/٤] عن المنطعم رضى الله تعالى عنه ، وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه [١٧٣] .

(٢) رواه أبو داود [٧٧٥] ، والترمذى [٢٤٢] ، وابن ماجه [٨٠٤] ، وأحمد فى المسند [٥٠/٣] ، وضححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٧٠١] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه .

(٣) أخرجه البخارى [٧٥٦] ، ومسلم [٣٤/٣٩٤] ، وأبو داود [٨٢٢] عن عبيدة بن الصامت رضى الله تعالى عنه

جهرية أسمعهم القراءة ولم يسمعهم ﴿ إِنْسُوهُ اللَّهُ  
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ <sup>(١)</sup> فربه أعلم هل كان يقرؤها أم لا ؟  
وكان يقطع قراءته آية آية ، ثم يقف على ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾  
ثم يتدئ ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ويقف ثم يتدئ ﴿ مَلِكِ  
يَوْمِ الدِّينِ ﴾ على رسل وتمهل وترتيل بمد الرحمن ومد  
الرحيم ، وكان يقرأ ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بالآلف <sup>(٢)</sup> .  
وإذا حتم السورة قال : « آمين » يجهر بها ويمد بها صوته  
ويجهر بها من خلفه <sup>(٣)</sup> حتى يرجع المسجد .

(١) أخرجه البخاري [٧٤٣] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى  
عنه : أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتحون الصلاة بـ :  
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وسحوه الترمذي [٢٤٦] ،  
ومسلم [٥٠/٣٩٩] .

(٢) رواه أحمد في المسند [٣٠٢/٦] ، وأبو داود [٤٠٠١] .  
والترمذي [٣١٠٧] عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها .  
وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٢٣٣٦] .

(٣) رواه أبو داود [٩٣٢] ، والترمذي [٢٤٨] عن وائل بن حجر  
، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٨٢٤] .

واختلفت الرواية عنه هل كان يسكت بين الفاتحة وقراءة  
السورة ، أم كانت سكتة بعد القراءة كلها ؟ فقال يونس عن  
الحسن عن سمرة : حفصت مكتبتين ، سكتة إذا كبر الإمام  
حتى يقرأ . وسكتة إذا فرغ من فاتحة الكتاب وسورة عدد  
الركوع ، وصدقه أبي بن كعب على ذلك<sup>(١)</sup>.

ووافى يونس شعث الحمراني عن الحسن فقال : سكتة إذا  
استفتح ، وسكتة إذا فرغ من القراءة كلها<sup>(٢)</sup>.

وخالفهما قتادة فقال عن الحسن : إن سمرة بن جندب  
وعمران بن الحصين تذاكرا ، فحدث سمرة أنه حفظ عن  
رسول الله ﷺ سكتتين : سكتة إذا كبر ، وسكتة إذا فرغ من  
قراءة ﴿ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فقط فحفظ

- 
- (١) رواه أبو داود [٧٧٧] ، وابن ماجه [٨٤٥] ، وأحمد في  
المسند [١٢/٥] عن سمرة رضى الله تعالى عنه وضعفه الألباني  
في ضعيف ابن ماجه [١٨١] وقال الأريأؤوط : رجاله ثقات  
(٢) رواه أبو داود [٧٧٨] عن سمرة رضى الله تعالى عنه ،  
وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود [١٦٤] .

---

ذلك سمرة وأنكر عليه عمران بن الحصين ، فكتبا في ذلك إلى أبي بن كعب ، فكان في كتابه أن سمرة قد حفظ .

وقال قتادة أيضًا عن الحسن عن سمرة : سكتان حفظهما عن رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة وإذا فرغ من القراءة ، ثم قال بعد : وإد قال : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (١) .  
فقد اتفقت الأحاديث أنهما سكتان فقط ، إحداهما سكتة الافتتاح ، والثانية مختلف فيها . فالذى قال : إنها بعد قراءة الفاتحة هو قتادة ، وقد اختلف عليه سمرة ، فمرة قل ذلك ، ومرة قال . بعد الفراغ من القراءة ، ولم يحتلف على يوس وأشعث أنها بعد فراغه من القراءة كلها ، وهذا أرجح الروايتين . والله أعلم (٢) .

---

(١) رواه أبو داود [٧٧٩، ٧٨٠] ، والترمذي [٢٥١] ، وابن ماجه [٨٤٤] ، وأحمد [٧/٥] عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود [١٦٦، ١٦٥] .

(٢) رواه الدارمي [٢٨٣/١] ، وأحمد في المسند [٢١، ٢٠، ١٥/٥] عن سمرة بن جندب .

والجملة فلم ينقل عنه عليه السلام بإسناد صحيح ولا ضعيف أنه كان يسكت بعد قراءة الفاتحة حتى يقرأها من خلفه ، وليس في سكوته في هذا المحل إلا هذا الحديث المختلف فيه كما رأيت ، ولو كان يسكت هنا سكتة طويلة يدرك فيها قراءة الفاتحة لما اختفى ذلك على الصحابة ، ولكان معرفتهم به ونقلهم أهم من سكتة الافتتاح .

ثم يقرأ بعد ذلك سورة طويلة تارة ، وقصيرة تارة ، ومتوسطة تارة كما تقدم ذكر الأحاديث به .

ولم يكن يتدبّر من وسط السورة ولا من آخرها ، وإنما كان يقرأ من أولها ، فتارة يكملها وهو أغلب أحواله ، وتارة يقتصر على بعضها ويكملها في الركعة الثانية .

ولم ينقل أحد عنه أنه قرأ آية من سورة أو بآخرها إلا في سورة الفجر ، فإنه كان يقرأ فيها بهاتين الآيتين : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [ البقرة ١٣٦ ] ، ﴿ قَدْ يَتَأَهَّدَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَىٰ حِكْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ <sup>(١)</sup> [ آل عمران ٦٤ ] .

---

(١) ذكره النووي في الأدكار : ما يقوله إذا دخل في الصلاة باب لقراءة بعد التعوذ .

---

وكان يقرأ بالسورة في الركعة ، وتارة يعيدها في الركعة الثانية ، وتارة يقرأ سورتين في الركعة .  
أما الأول : فكقول عائشة أنه قرأ في المغرب بالأعراف فَرَّقَهَا في الركعتين<sup>(١)</sup> .

وأما الثاني : فقراءته في الصبح ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ في الركعتين كليهما ، والحديثان في السنن<sup>(٢)</sup> .

وأما الثالث : فكقول ابن مسعود : ولقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينها ، فذكر ثمان عشر سورة من المفصل وسورتين من آل حم وهذا في الصحيحين<sup>(٣)</sup> .  
وكان يمد قراءة الفجر ويطيلها أكثر من سائر الصلوات ،

- 
- (١) رواه السائي [١٧٠/٢] عن عائشة رضى الله تعالى عنها .  
(٢) رواه أبو داود [٨١٦] عن رجل من جهينة ، وحسه الألباني في صحيح أبي داود [٧٣٠] .  
(٣) أخرجه البخاري [٥٠٤٣] ، ومسلم [٢٧٥/٨٢٢] عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه .

وأقصر ما حفظ عنه أنه كان يقرأ بها فيها في الحضر ﴿قَبَّ﴾ ونحوها .

وكان يحجر بالقراءة في الفجر والأولين من المغرب والعشاء ويسر فيما سوى ذلك ، وربما كان يسمعهم الآية في قراءة السر أحياناً .

وكان يقرأ في فجر يوم الجمعة سورة السجدة ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾ و ﴿هَلْ أَتَى﴾ كاملتين ، ولم يقتصر على إحداهما ولا على بعض هذه فقط ، وكان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة ﴿الْجُمُعَةِ﴾ و ﴿الْمُتَفِقُونَ﴾ كاملتين ، ولم يقتصر على أواخرهما ، وربما كان يقرأ بسورة ﴿الْأَعْلَى﴾ و ﴿الْغَنَشِيَّةِ﴾ .

وكان يقرأ في العيدين بسورة ﴿قَبَّ﴾ و ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ﴾ كاملتين ، ولم يقتصر على أواخرهما .

وكان يقرأ في صلاة السر سورة فيها « لسحدة » أحياناً فيسجد للسجدة ، ويسجد معه من خلعه .

وكان يقرأ في الظهر قدر ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾ السحدة ونحو ثلاثين آية ، ومرة كان يقرأ فيها بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ،



و ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ، و ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْرُجُوجِ﴾ ، و ﴿وَالسَّاءِ  
وَالطَّارِقِ﴾ وسحوها من السور ، ومرة بـ ﴿لَقَمْنُ﴾ ،  
﴿وَالذَّرِيَّتِ﴾ .

وكان يقوم في الركعة الأولى منها حتى لا يسمع وقع قدم ،  
وكذلك كان يطيب الركعة الأولى من كل صلاة عسى الثانية  
وكانت قراءته في العصر في الركعين الأوليين في كل ركعة  
قدر خمس عشرة آية .

وكان يقرأ في المغرب بـ ﴿الْأَعْرَافِ﴾ تارة ، و ﴿وَالطُّورِ﴾  
تارة و ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ تارة ، وبالـ ﴿دُخَانٍ﴾ تارة ، وروى عنه أنه  
قرأ فيها بـ ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾  
تفرد به ابن ماجه ، ولعل أحد رواته وهم من قراءته بهما في سنة  
المغرب ، فكان يقرأ بهما في سنة المغرب فقال : كان يقرأ بهما  
في المغرب أو سقطت « سنة » من النسخة . والله أعلم .

وكان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾  
وسورة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ويسجد فيها جميع من حلفه ،  
و ﴿وَالشَّيْثِ وَخُضْعَهَا﴾ ونحو ذلك من السور

وكان إذا فرغ من القراءة سكت هيهة ليرجع إليه نفسه .  
ثم كان يرفع يديه إلى أن يحاذي بهما فروع أذنيه كما  
رفعهما في الاستفتاح صح عنه ذلك كما صح التكبير للركوع  
بل الذين رَوَوْا عنه رفع اليدين ههنا أكثر من الذين رَوَوْا عنه  
التكبير ، ثم يقول . « الله أكبر » ويخر رَاكِعًا ويضع يديه على  
ركبتيه فيمكثهما من ركبتيه ، وفرج بين أصابعه وجافى مرفقيه  
عن جنبه ، ثم اعتدل وجعل رأسه حيال ظهره فلم يرفع رأسه  
وَلَمْ يَصُوْنَهُ ، وهصر ظهره أى : مده ولم يجمعه <sup>(١)</sup> ، ثم قال :  
« سبحان ربى العظيم » <sup>(٢)</sup> .

- 
- (١) جزء من حديث أخرجه البحارى [٨٢٨] ، وأبو داود  
[٧٣٠، ٧٣٣، ٩٦٦] ، والترمذى [٣٠٤، ٣٠٥] ، وابن ماجه  
[١٠٦١] عن أبى حميد الساعدى رضى الله تعالى عنه .  
(٢) رواه أبو داود [٨٦٩] ، وابن ماجه [٨٨٧] ، وأحمد فى  
المسند [١٥٥/٤] عن عقبه بن عامر ، وضعفه الألبانى فى  
ضعيف أبى داود [١٨٤] .

وروى عنه أنه كان يقول : « سبحان ربى العظيم وبحمده » .  
 قال أبو داود : وأخاف أن لا تكون هذه الزيادة محفوظة <sup>(١)</sup> .  
 وربما مكث قدر ما يقول القائل عشر مرات ، وربما مكث  
 فوق ذلك ودونه <sup>(٢)</sup> . وربما قال : « سبحانك اللهم وبحمدك ،  
 اللهم اغفر لى » <sup>(٣)</sup> .

- (١) رواه أبو داود [٨٧٠] عن عتبة بن عمر رضى الله تعالى عنه ،  
 وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود ، وصحح الألبانى هذه  
 الزيادة فى صفة الصلاة [٧٧:٥٩] .
- (٢) روى أبو داود [٨٨٨] ، وأحمد فى المسند [١٦٣، ١٦٢/٣]  
 عن وهب بن مأنوس قال : سمعت سعيد بن حبير يقول : « ما  
 صليت وراء أحد بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ  
 من هذا الفتى » . يعنى : عمر بن عبد العزيز ، فحررنا فى  
 ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات .  
 وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود [١٨٩] .
- (٣) أخرجه البخارى [٧٩٤] ، ومسلم [١٧/٤٨٤] عن عائشة  
 رضى الله تعالى عنها .

وربما قال : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح »<sup>(١)</sup> ، وربما قال : « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكلت ، أنت ربي ، خشع قلبي وسمعي ، وبصري ودمي ، ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين »<sup>(٢)</sup> .  
 وربما كان يقول : « سبحانه ذي الجبروت والمملوكوت ، والكبرياء والعظمة »<sup>(٣)</sup> . وكان ركوعه مناسبا لقيامه في التطويل والتخفيف ، وهذا بين في سائر الأحاديث<sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) أخرجه مسلم [٢٢٣/٤٨٧] ، وأبو داود [٨٧٢] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .  
 (٢) جزء من حديث أخرجه مسلم [٢٠٢/٧٧١] ، وأبو داود [٧٦٠] عن عبي رضي الله تعالى عنه .  
 (٣) رواه أبو داود [٨٧٣] عن عوف بن مالك الأشجعي وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٧٧٦] .  
 (٤) أخرجه البخاري [٧٩٢] ، ومسلم [١٩٣/٤٧١] ، وأبو داود [٨٥٤، ٨٥٢] ، والترمذي [٢٨٠، ٢٧٩] وغيرهم . عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه .  
 قال ابن القيم : ولا يافض هذا ما رواه البحري في =

---

ثم كان يرفع رأسه قائلاً : « سمع الله لمن حمده » <sup>(١)</sup> ويرفع يديه كما يرفعهما عند الركوع ، فإذا اعتدل قائماً قال : « ربنا لك الحمد » <sup>(٢)</sup> ، وربما قال : « اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد

---

- هذا الحديث : « كان ركوع النبي ﷺ وسجوده وما بين السجدين وإذا رفع رأسه ما خلا القيام والقعود قريباً من السواء » فإن البراء هو القائل هذا وهذا ، فإنه في السياق الأول أدخل في ذلك قيام القراءة وجنوس التشهد ، وليس مراده أنهما بقدر ركوعه وسجوده ، ولا ناقض السياق الأول وإشائي ، وإنما المراد أن طولهما كان مناسباً لطول الركوع والسجود والاعتدالين بحيث لا يظهر التفاوت الشديد في طول هذا ، وقصر هذا .

- (١) أخرجه مسلم [٥/٣٩١] عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه .  
(٢) أخرجه البخارى [٣٢٢٨] ومسلم [٧١/٤٠٩] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

ملك الجدة<sup>(١)</sup> وربما زاد على ذلك : « اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد ، اللهم طهرنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ »<sup>(٢)</sup> ، وكان يطيل هذا الركن حتى يقول القائل قد سئى ، وكان يقول فى صلاة الليل فيه : « لربى الحمد ، لربى الحمد »<sup>(٣)</sup> .

ثم يكبر ويخر ساجداً ولا يرفع يديه<sup>(٤)</sup> ، وكان يضع ركبتيه قبل يديه ، هكذا قال عنه وائل بن حجر<sup>(٥)</sup> وأنس بن مالك<sup>(٦)</sup> .

---

(١) أخرجه مسلم [٢٠٥/٤٧٧] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه مسلم [٢٠٤/٤٧٦] عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه .

(٣) رواه أبو داود [٨٧٤] ، والنسائى [٢٠٠-١٩٩/٢] ، وأحمد فى المسند [٣٩٨/٥] عن حذيفة رضى الله تعالى عنه .

(٤) أخرجه البخارى [٧٣٨] ، وأبو داود [٧٢٣] ، وأحمد فى المسند [٣١٧/٤] عن وائل بن حجر رضى الله تعالى عنه .

(٥) رواه أبو داود [٨٣٨] ، والترمذى [٢٦٨] ، وابن ماجه [٨٨٢] عن وائل بن حجر ، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود [١٨١] .

(٦) رواه لدارقطنى [٣٤٥/١] ، وإحاكم [٢٢٦/١] .

قال عنه ابن عمر إنه كان يضع يديه قبل ركبتيه <sup>(١)</sup> .  
واختلف على أبي هريرة ، ففي السنن عن النبي ﷺ « إذا  
سجد أحدكم فلا يرك كما يرك العير وليضع يديه قبل  
ركبتيه » <sup>(٢)</sup>

وروى عنه المقبري عن النبي ﷺ . « إذا سجد أحدكم فليبدأ  
بركبتيه قس يديه » <sup>(٣)</sup> ، فأبو هريرة قد تعارضت الرواية عنه ،  
وحديث وائل وابن عمر قد تعارضا ، فرجحت طائفة حديث  
ابن عمر ، ورجحت طائفة حديث وائل بن حجر ، وسلكت  
طائفة مسلك النسخ وقالت : كان الأمر لأول وضع اليدين

---

(١) رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار [٢٥٤/١] عن ابن عمر  
رضي الله تعالى عنهما .

(٢) رواه أبو داود [٨٤٠] ، والنسائي [٢٠٧/٢] ، وأحمد في  
المسند [٣٨١/٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه  
وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٧٤٦] .

(٣) رواه البيهقي في السنن [١٠٠/٢] وفيه : المقبري ، وهو  
متروك الحديث ، انظر الحرج والتعدين [٧١/٥] .

قبل الركبتين ثم نسخ بوضع الركبتين أولاً ، وهذه طريقة ابن خزيمة في ذكر الدلائل على أن الأمر بوضع اليدين عند السجود منسوخ ، فإن وضع الركبتين قبل اليدين نسخ ، ثم روى عن مصعب بن سعد قال : كنا نضع ايدينا قبل الركبتين فأمرنا بوضع الركبتين قبل ليدينا <sup>(١)</sup> ، وهذا لو ثبت لكان فيه الشفاء ، لكن يحيى بن سلمة بن كهيل قال البخاري : عنده ماكير ، وقال ابن معين : يس بشيء لا يكتب حديثه ، وقال السائي : متروك الحديث . وهذه القصة وهم فيها يحيى أو غيره ، وإنما المعروف عن مصعب بن سعد عن أبيه نسخ التطبيق في الركوع بوضع اليدين على الركبتين ، فلم يحفظ هذا الراوى وقال : المنسوخ وضع اليدين قبل الركبتين .

قال السابقون باليدين : قد صح حديث ابن عمر فإنه من

---

(١) رواه ابن خزيمة [٦٢٨] ، والبيهقي في السنن [١٠٠/٢] من طريق إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه عن جده ، وإبراهيم ضعيف ، وأبوه متروك ، وجده متروك ، انظر تهذيب الهذيل [٢١٥/١١] .



---

رواية عبيد الله عن نفع عنه ، قال ابن أبي داود : وهو قول أهل الحديث .

قالوا : وهو أعلم بهذا من غيرهم ، فإنه نقل محض .  
قالوا : وهذه سنة رواها أهل المدينة وهم أعلم بها من غيرهم ،  
قال ابن أبي داود ولهم فيها إسنادان :  
أحدهما : محمد بن عبد الله بن حسن عن أبي الزناد عن  
الأعرج عن أبي هريرة .

والثاني : الدروردي عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر .  
قالوا : وحديث وائل بن حجر له طريقان وهما معلولان ،  
في أحدهما شريك تفرد به ، قال الدارقطني : وليس بالقوى  
فيما يتفرد به .

والطريق الثاني : من رواية عبد الجبار بن وائل عن أبيه  
ولم يسمع من أبيه <sup>(١)</sup> .

---

(١) رواه أبو داود [٨٣٩] عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه رضي الله  
تعالى عنهما ، وضعفه لألاني في ضعيف أبي داود [١٨٢] .

وقال السابقون بالركسين . حديث وائل بن حجر أثبت من حديث أبي هريرة وابن عمر ، قال المحاربي : حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة لا يتابع عليه ، فيه محمد بن عبد الله بن الحسن قال : ولا أدري سمع من أبي الزناد أم لا ؟ وقال الخطابي : حديث وائل بن حجر أثبت منه ، قال : ورغم بعض العلماء أنه مسووح ؛ ولهذا لم يحسنه إسماعيل وحقهم بعرايته وحسن حديث وائل .

قالوا : وقد قال في حديث أبي هريرة . « لا يبرك كما يبرك المعير » ، والمعير إذا يرك بدأ يديه قبل ركبتيه ، وهذا المعنى لا يباع قوته : « ويضع يديه قبل ركبتيه » بل ينافيه ويدل على أن هذه الريادة غير محفوظة ، ولعل لفظها انقلب على بعض الرواة . قالوا : ويدل على ترجيح هذا أمران أحدهما .

أحدهما : ما رواه أبو داود من حديث ابن عمر . « أن رسول الله ﷺ نهى أن يعتمد الرجل على يديه في الصلاة »<sup>(١)</sup> ،

(١) رواه أبو داود [٩٩٢] ، وأحمد في المسند [١٤٧/٢] ، وانظر الذي بعده .

وفى لفظ : « نهى أن يعتمد الرجل على يديه إذا نهض فى الصلاة »<sup>(١)</sup> ولا ريب أنه إذا وضع يديه قبل ركبتيه اعتمد عليهما . فيكون قد أوقع جزءاً من الصلاة معتمداً على يديه بالأرض ، وأيضاً فهذا الاعتماد بالسجود بظير الاعتماد فى الرفع منه سواء ، فإذا نهى عن ذلك كان نظيره كذلك .

الثانى : أن المصلى فى انحطاطه يحط منه إلى الأرض الأقرب إليها أولاً ، ثم الذى من فوقه ثم الذى من فوقه حتى ينتهى إلى أعلى ما فيه وهو وجهه فإذا رفع رأسه من السجود ارتفع أعلى ما فيه أولاً ، ثم الذى دونه حتى يكون آخر ما يرتفع منه ركبته . والله أعلم .

ثم كان يسجد على حيته وأنفه ويديه وركبتيه وأطراف قدميه<sup>(٢)</sup> ويستقبل بأصابع يديه ورجليه القبلة ، وكان يعتمد

---

(١) رواه أبو داود [٩٩٢] عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه ، وقال الألبانى فى صحيح أبى داود [٨٧٥] : صحيح إلا لفظ ابن عبد الملك فإنه منكر .

(٢) جزء من حديث أبى حميد الساعدى سقّ تحريجه .

على إلبتي كفيه ويرفع مرفقيه ويجافي عضديه عن جنبه حتى يبدو بياض إبطيه ، ويرفع بطنه عن فخذه وفخذه عن ساقه ، ويعتدل في سجوده <sup>(١)</sup> ، ويمكس وجهه من الأرض مباشرة به للمصلي غير ساحد على كور العمامة <sup>(٢)</sup> .

قال أبو حميد الساعدي وعشرة من الصحابة يسمعون كلامه : « كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائماً ورفع يديه حتى يحدى بهما منكبيه ، فإذا أراد أن يركع رفع يديه حتى يحدى بهما منكبيه ، ثم قال : « لله أكبر » فركع ثم اعتدل فلم يصوب رأسه ولم يقنع ووضع يديه على ركبتيه وقال : « سمع الله من حمده » ورفع يديه واعتدل حتى رجع كل عظم في موضعه معتدلاً ، ثم هوى ساحداً وقال : « الله

---

(١) أخرجه مسلم [٢٣٤/٤٩٤] ، وأحمد في المسند

[٢٩٤، ٢٨٣/٤] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه .

(٢) ذكر أبو داود في المراسيل أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً

يصلي في المسجد فسجد بحبيه وقد اعتم على جبهته وحسر

رسول الله ﷺ عن جبهته .

أكبر « ثم جافى عضديه عن إبطه وفتح أصابع رجليه ثم ثنى رجليه اليسرى وقعد عليها واعتدل ، حتى يرجع كل عظم في موضعه معتدلاً ، ثم هوى ساجداً وقال : « الله أكبر » ثم ثنى رجليه وقعد واعتدل ؛ حتى يرجع كل عظم في موضعه ، ثم بهض فصنع في الركعة الثانية مثل ذلك ، حتى إذا قام من لسجدتين كبر ورفع يديه ؛ حتى يحاذي بهما مكبيه كما صنع حين افتتح الصلاة ، ثم صنع كذلك حتى إذا كانت الركعة التي تنقضى فيها الصلاة أخرج رجليه اليسرى وقعد على شقه متوركاً ثم سلم » (١) .

وكان يقول في سجوده : « سبحن ربى الأعلى » (٢) .

= وحديث أبى هريرة . أن رسول الله ﷺ كان يسجد على كور عمامته . قال ابن القيم في زاد المعاد [٢٣٢/١] : هو من رواية عبد الله بن محرز وهو متروك .

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه مسلم [٢٠٣/٧٧٢] ، والترمذى [٢٦٢] عن حديفة رضى الله تعالى عنه .

---

وروى أنه كان يزيد عليها : « وبحمده » وربما قال : « اللهم  
إني لك سجدت ، وبك أمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي  
للدن حلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن  
الخالقين » وكان يقول أيضاً : « سبحانك اللهم وبحمدك ،  
اللهم اغفر لي » وكان يقول : « سبحانك اللهم وبحمدك لا  
إله إلا أنت » .

وكان يقول « سوح قدوس رب الملائكة والروح » وكان  
يقول : « اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره ،  
وعلايته وسره » وكان يقول : « اللهم إني أعوذ برضاك من  
سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى  
ثناء عليك أنت كما أثيت على نفسك » ، وكان يجعل  
سجوده مناسبا لقيامه .

ثم يرفع رأسه قائلاً : « الله أكبر » غير رافع يديه <sup>(١)</sup> ، ثم

---

(١) أخرجه المحاربي [٧٣٨] . عن عبد الله بن عمر رضي الله  
تعالى عنهما

يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها ويصب اليمنى ويضع يديه على فحديه <sup>(١)</sup> ، ثم يقول : « اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني » وفي لفظ : « وعافني » بدل ( واحبرني ) هذا حديث ابن عباس <sup>(٢)</sup> . وقال حذيفة : كان يقول بين السجدين : « رب اغفر لي » <sup>(٣)</sup> ولحديثان في السر . وكان يطيل هذه الجلسة حتى يقول القائل : قد أوهم أو قد نسي <sup>(٤)</sup> .

(١) رواه النسائي [٣٦/٣] ، وأبو داود [٩٥٧] ، وابن حبان [٤٨٥] وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٨٤٤] عن وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه .

(٢) رواه أبو داود [٨٥٠] ، والترمذي [٢٨٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود [٧٥٦] .

(٣) رواه أبو داود [٨٧٤] ، وابن ماجه [٨٩٧] عن حذيفة رضي الله تعالى عنه ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٧١٤] .

(٤) أخرجه مسلم [١٩٦/٤٧٣] ، وأبو داود [٨٥٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه .

---

ثم يكبر ويسجد غير رافع يديه ، ويصنع فى الثانية مثل ما صنع فى الأولى ، ثم يرفع رأسه مكرراً ويهض على صدور قدميه معتمداً على ركبتيه وفخديه (١) .

وقال مالك بن الحويرث : كان رسول الله ﷺ إذا كان فى وتر من صلاته لم يهض حتى يستوى قاعداً ، فهذه تسمى جلسة الاستراحة ، ولا ريب أنه ﷺ فعلها ولكن هل فعلها على أنها من سنن الصلاة وهيئاتها كالتجامى وغيره ، أو لحاجته إليها لما أسن وأخذ اللحم ؟ وهذا الثانى أظهر لوجهين : أحدهما : أن فيه حمعاً بينه وبين حديث وثل بن ححر وأبى هريرة أنه كان يهض على صدور قدميه . والثانى : أن الصحابة الذين كانوا أحرص الناس على

---

(١) لم أجد دليلاً ، وهو مخالف لما أخرجه البخارى [٨٢٣] ، وأبو داود [٨٤٤] ، والترمذى [٢٨٧] عن مالك بن الحويرث رضى الله تعالى عنه أنه رأى النبى ﷺ يصلى ، فإذا كان فى وتر من صلاته لم يهض حتى يستوى قاعداً .



---

مشاهدة أفعاله وهيئات صلاته كانوا ينهضون على صدور  
أقدامهم ، وكان عبد الله بن مسعود يقوم على صدور قدميه  
في الصلاة ولا يجلس . رواه البيهقي عنه ، ورواه عن ابن عمر  
وابن عباس وابن الزبير وأبي سعيد الخدري من رواية عطية  
العوفى عنهم ، وهو صحيح عن ابن مسعود ولم يكن يرفع  
يديه في هذا القيام .

وكان إذا استتم قائمًا أخذ في القراءة ولم يسكت وانتح  
قراءته بالحمد لله رب العالمين .

فإذا جلس في التشهد الأول جلس مفترشًا كما جلس بين  
السجدين ، ويضع يده اليسرى على ركبته اليسرى واليمنى على  
فخذ اليمنى ، وأشار بإصبعه السبابة ووضع إبهامه على إصبعه  
الوسطى كهيئة الحلقة وجعل بصره إلى موضع إشارته <sup>(١)</sup> ،

---

(١) رواه أبو داود [٩٩٠] ، وابن حبان في صحيحه [١٩٤٤]  
وحسنه الألباني في صحيح أبي داود [٨٧٤] عن عبد الله بن  
الزبير رضي الله تعالى عنه .

وكان يرفع إصبعه السبابة ويحنّيها قليلاً يوحد بها ربه عز وجل .  
وذكر أبو داود من حديث ابن عباس عه رضي الله عنه أنه قال :  
هكذا الإخلاص « يشير بإصبعه التي تلي الإبهام » ، « وهكذا  
الدعاء » فرفع يديه مدّاً حذو منكبيه ، « وهكذا الابتهاال » فرفع  
يديه مدّاً . وقد روى موقوفاً .

ثم كان يقول : « التحيات لله والصلوات والطيبات ،  
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا  
وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » وكان يعلمه  
أصحابه كما يعلمهم القرآن<sup>(١)</sup> .

وكان أيضاً يقول : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات  
لله » هذا تشهد ابن عباس<sup>(٢)</sup> .

---

(١) أخرجه البخاري [٦٣٢٨] ، ومسلم [٥٥/٤٠٢] عن ابن  
مسعود رضي الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه مسلم [٦٠/٤٠٣] ، وأبو داود [٩٧٤] عن ابن  
عباس رضي الله تعالى عنه .

---

والأول تشهد ابن مسعود وهو أكمل ؛ لأن تشهد ابن مسعود يتضمن جملاً متغايرة ، وتشهد ابن عباس جملة واحدة ، وأيضاً فإنه في الصحيحين وفيه زيادة الواو ، وكان يعلمهم إياه كما يعلمهم القرآن .

وروى ابن عمر عنه : « التحيات لله الصلوات الطيبات » وفيه أنواع أخرى كلها جائزة .

وكان يحفف هذه الجلسة ، حتى كأنه جالس على الردف وهي : الحجارة المحمة . ثم يكبر وينهض ويصلي الثالثة والرابعة ويخففهما عن الأولين ، وكان يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وربما زاد عليها أحياناً .

الصلوة وحكم تاركها [ ص : ٨٨ : ٢٠٩ ]



## رحمة الله بعباده

يقول الحق عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴾ [ البقرة : ١٥٧ ]

إن الغاية اسهائية في كل تكليف إيماني وفي كل عمل أن تنال رضوان الله في الآخرة ، إياك أن يشغلك عن صلوات الله وتحياته وبركاته أى شئ حتى ولو كان انتصاراً لعقيدة ؛ لأن انتصار العقيدة هو وسيلة ينال بها المؤمن صلوات الله ورحمته ، وكل شئ عدا ذلك إنما هو وسيلة للوصول إلى هذا الغاية . إن غاية الغايات أن يفوز المؤمن برضا من أراد له الحياة وأن يكون له الصلوات والرحمة من خالقه سبحانه وتعالى . والصلاة كما نعرف في اللغة هي الدعاء . وللناس صلاة وللملائكة صلاة ، وله تعالى صلاة ، ولنقرأ قول الحق : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ لِيُخْرِجْكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ [ الحج : ١٠٨ ] فَيَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُمْ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيماً ﴿ [ الأعراب : ١٠ ] .

إن الحق سبحانه يتعهد عباده برحمته ولطفه ، وملائكته  
 تطيب للصالحين من العباد المغفرة ولهدية ، وبهذا يخرج الحق  
 المؤمنين من طمحات الكفر إلى نور الإيمان ، ويتلقاهم الله بأمن  
 وسلام ، ويجزيهم الخير كله ، ونحن نعرف أن الخلق كلهم  
 الكافر منهم ولئمن - إنما يعيشون برحمة الله في الأرض . إنما  
 نأخذ بأسباب الله التي أرادها الله رحمة منه في الأرض .  
 المؤمن يأخذ نعم الله المادية ومعها البركة والاطمئنان ، والكافر  
 يأخذ من نعيم الدنيا على قدر بدله فيها من جهد ، لكنه لا يأخذ  
 ببركة والاطمئنان ، وهما النعمة الكبرى من الله تعالى لعباده .  
 إن الصلاة من الله عطاء لسرعة ولرحمة ، والصلاة من  
 الملائكة استغفار ، والصلاة من المؤمنين دعاء ، وصلاة المؤمنين  
 على رسول الله ﷺ هي دعوة لرسوله بالخير والبركة والرحمة ،  
 وهو في نفس الوقت دعاء لأنفسهم ؛ لأن كل منزلة يالها  
 رسول الله ﷺ تعود على أتمته ، وإن كل صلاة من المؤمن  
 على رسول الله ﷺ يجازى عليها من الله بعشرة ، ثم إن رسول  
 الله هو الذي سيسفح لنا عند الله يوم القيامة ولذلك فكل

إعلاء لدرجته ﷺ إعلاء لأمته ، وكل خير يناله رسول الله ﷺ هو خير لنا جميعاً لذلك فعندما نصلي على النبي فإننا ندعو له وندعو لأنفسنا ، لأن المؤمن إذا صلى على رسول الله مرة واحدة فإن الله يصلي عليه عشر مرات <sup>(١)</sup> ، وهكذا يكون المؤمنون في المرتبة التي يتلقون فيها صلوات ربهم ورحمته ، ويكونون هم المهتدين ، أى : أنهم هم الدين التزموا لطريق الموصل إلى الغاية . والغاية هي أن يبالغوا بصوات من ربهم ورحمة فيتمتع المؤمن بنعم الله بأسباب الله في الدنيا ، ويتمتع في الآخرة بنعم الله جزاءً صافياً من الله .




---

(١) روى أبو داود [١٥٣٠] عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ؛ قال رسول الله ﷺ : « من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر » . وصححه الألبانى .

## التعلق برحمة الله

وعندما نبدأ أى عمل نبدؤه « بسم الله الرحمن الرحيم »  
وانظر إلى رحمة الله بالخلق . قاله سبحانه وتعالى يرفع عن  
العاصي الحرج في أنه يقبل على نعم الله باسم الله الذي عصاه ،  
وحتى لا يستحي من عصي الله أن يبدأ أى عمل باسم الله  
وأن يستعينه . نقول : إن الحق سبحانه وتعالى جعلك تقبل  
على عملك وأنت واثق من الاستجابة ؛ لأن الله هو الرحمن  
الرحيم فإذا قلت : بسم الله الرحمن الرحيم تعلقت برحمة الله  
فأعانك على ما تفعل .

وارحمة والرحمن والرحيم : مشتق منها ارحم الذي هو  
مكان الجنين في بطن أمه ، هذا المكان الذي يأتيه فيه الرزق بلا  
حول ولا قوة ، ويجد فيه كل ما يحتاج إليه نموه ثم يشراً رزقا من  
الله سبحانه وتعالى بلا تعب ، ولا مقابل ، انظر إلى حمو الأم على  
ابنها وحنانها عليه <sup>(١)</sup> ، وتجاوزها عن سيئاته وفرحتها بعودته  
إليها .

---

(١) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : فِيمَ عَلَى  
النَّبِيِّ ﷺ سُبْحَى ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَشْفِي

وفى الحديث القدسى : « أنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » (١) .

وفى قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾  
هناك ثلاثة أسماء لله تعالى قد وردت فى « البسملة » ،

---

إذا وجدت صبيًا فى الشئ أخذته فألصقته بيظها وأرضعته .  
فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ : « أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِى النَّارِ ؟ »  
قُلْنَا : لَا ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ : « اللَّهُ أَرْحَمُ  
بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا » .

أخرجه البخارى ٥٩٩٩ واللفظ به . ومسلم [ ٢٢/٢٧٥٤ ] .

(١) رواه أحمد فى المسند [ ٩٤/١ ] عن عبد الرحمن بن عوف ،  
رضى الله تعالى عنه . وصححه الشيخ شاكر برقم [ ١٦٨٦ ] ،  
والترمذى [ ١٩٠٧ ] ، وقال : حديث صحيح ، وصححه  
الألبانى فى صحيح الترمذى [ ١٥٥٧ ] ، . وأخرجه البخارى  
[ ٧٥٠٢ ، ٥٩٨٩ ، ٥٩٨٨ ، ٥٩٨٧ ، ٤٨٣٠ ] . ومسلم [ ١٦/٢٥٥٤ ] عن  
أبى هريرة ، رضى الله تعالى عنه ، بالفاظ متقاربة .



وفى : « فاتحة الكتاب » ، وهى : ﴿ اللَّهُ ﴾ ، و ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ ،  
و ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ .

ونحن نعلم أنه : ليس هـاك تكرار فى القرآن الكريم ، وإذا  
تكرر اللفظ يكون معناه فى كل مرة مختلفاً عن معناه فى المرة  
السابقة ؛ لأن المتكلم هو الله سبحانه وتعالى ، ولذلك تجد دائماً  
اللفظ فى مكانه الصحيح ، وفى معناه الصحيح .

وهـاك فرق بين ورود اسم الله تعالى فى البسمة ، وفى  
الفاتحة ؛ ففي البسمة ، تقول : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ الذى  
نستعين به على ما لا قدرة لنا عليه ؛ لأن الله هو الذى سخر  
كل ما فى هذا الكون ، وجعله يخدمنا ، وفى الفاتحة :  
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فإن لفظ الجلالة إنما جاء هنا لحمد الله  
على ما فعل لنا .

فكأن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ فى البسمة : طلب العون من الله  
بكل كمال صفاته ، و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فى الفاتحة : تقديم  
الشكر لله بكل كمال صفاته .

كما أن ﴿الزَّكَّيْنِ الرَّحِيمِ﴾ في البسملة لها معنى غير ﴿الزَّكَّيْنِ الرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة ؛ ففي البسملة تلفتسا إلى رحمة الله سبحانه وتعالى وغفرانه ؛ حتى لا نستحي ، ولا نهاب أن نستعين به سبحانه إن كنا قد فعلنا معصية .

فإن الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نستعين باسمه دائما في كل أعمالنا ، فإذا سقط واحد ما في معصية ، فلا يقول : كيف أستعين بالله وقد عصيته ؟! نقول له : ادخل عليه سبحانه وتعالى من باب الرحمة ، فيعفر لك ، واستعن به يُعْثِكَ .

ولولا رحمة الله التي سبقت غضبه ، ما بقي للناس نعمة ، وما عاش أحد على طهر الأرض ؛ يقول جل جلاله : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَأْوٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ (٦١) [ السجدة ] .

فالإنسان مخلوق ضعيفا ، ومخلوق هلوغا ، والرسول ﷺ يقول : « لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » ، قالوا : ولا أنت ؟

يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه  
بفضل ورحمة » (١) .

فذنوب الإنسان في الدنيا كثيرة ، إذا حكم فقد يظلم ، وإذا  
ظن فقد يسيء ، وإذا تحدث فقد يكذب ، وإذا شهد فقد  
يتعد عن الحق ، وإذا تكلم فقد يعتاب .

هذه ذنوب يرتكبها بدرجات متفاوتة ، ولا يمكن لأحد منا  
أن ينسب الكمال لنفسه ، حتى الذين يبدلون أقصى جهدهم  
في الطاعة لا يصلون إلى درجة الكمال ، فالكمال لله وحده .  
ورسول الله ﷺ يقول : « كُلُّ نَبِيٍّ آدَمُ حَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ  
النَّبَوَاتُونَ » (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري [٦٤٦٢] ، ومسلم [٧٥/٢٨١٦] واللفظ له ،  
عن أبي هريرة ، رضي الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه أحمد في المسند [١٩٨/٣] والترمذي [٢٤٩٩] ،  
وقال : حديث غريب ، وابن ماجة [٢٤٥١] عن أسس بن مالك  
رضي الله تعالى عنه واللفظ له ، وقال الألباني في صحيح  
الترمذي [٢٠٢٩] : حسن .

ولما كان الإنسان ظلوماً جهولاً<sup>(١)</sup> ، أراد الحق سبحانه وتعالى أن يعلمه أن يبدأ كل عمل باسم الله ، فعلمنا أن نقول : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، لكي نعرف أن الباب مفتوح للاستعانة بالله ، وأن المعصية لا تمعنا من الاستعانة في كل عمل باسم الله ؛ لأنه سبحانه ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، فيكون الله قد أزال وحشتك من المعصية في الاستعانة به سبحانه وتعالى

و ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ في الدخلة مقترنة برب العالمين ، الذي أوجدك من عدم ، وأمدك بنعم لا تعد ولا تحصى ، أنت تحمده على هذه النعم التي أحدها برحمة الله سبحانه وتعالى في ربوبيته ، والله سبحانه وتعالى ربّ للمؤمن والكافر ، وهو الذي خلقهم ؛ لذلك فإنه يعطيهم من النعم برحمته ، وليس بما يستحقون ، فالشمس تشرق على المؤمن والكافر ، ولا تحجب أشعتها عن الكافر وتعطيها للمؤمن فقط ، والمطر ينزل على من

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَحَمَّهَا الْإِنْسَانُ يَتَمَنَّاهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

[ الأعراب : ٧٢ ] .

يعبدون الله ، وعبي من يعبدون أوثاناً من دون الله ، والهواء جعله الله لمن قال : لا إله إلا الله ومن ححد بها .

إذن .. كل النعم التي هي من عطاء الربوبية هي في الدنيا خلق الله جميعاً ، وهذه رحمة منه سبحانه ؛ لأنه هو ﴿الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ﴾ رب الجميع ، من أطاعه ومن عصاه .

وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الله محمود لذاته ، ومحمود لصفاته ، ومحمود لنعمه ، ومحمود لرحمته ، ومحمود منهجه ، ومحمود لقضائه . فله تعالى محمود قبل أن يخلق من يحمده ، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل الشاء عليه في كلمتين اثنتين هما : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

والعجيب أنك حير تشكر بشراً على جميل فعله تطل ساعات وساعات ، تُعد كلمات الشكر والثناء ، وتحذف وتضيف ، وتأخذ رأي الناس ، حتى تصل إلى قصيدة أو خطاب ملىء بالثناء واشكر . ولكن الله سبحانه وتعالى ، جت قدرته ، وتعالى عظمته الذي نعمه لا تُعد ولا تُحصى - علماً أن نشكره في كلمين اثنتين هما : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه عندما صيغة الحمد ، فلو أنه تركنا دون أن يعلمنا إياها ، لكان من الصعب على الشر أن يحدوا الصيغة المناسبة ليحمدوا الله على هذا الكمال الإلهي ، فمهما أوتى الناس من بلاغة وقدرة على التعبير ، فهم عاجزون عن أن يصلوا إلى صيغة الحمد التي تليق بحلال المنعم . فكيف نحمد الله والعقل عاجز أن يدرك قدرته أو يحصى نعمه أو يحيط برحمته؟! وفي الحديث : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) .




---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٢٢٢/٤٨٦] ، وأبو داود [٨٧٩] ، والنسائي في المجتبى [٢١٠/٢] ، وابن ماجه [٣٨٤١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

## صفة الرحمة

المؤمنون والمؤمنات الذين هم أولياء بعض الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون لصلاة والذين يؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله هؤلاء سيرحمهم الله . ما هر الأبلغ أن يقال : « أولئك يرحمهم الله » أو ﴿ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [ نوره . ٧ ] الأبلغ أن يقال : قاله رب العزة سبحانه : ﴿ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ ؛ لأن السببية تعطى استبطانة زمن ، وبدلك سيكون أمل المؤمن دائماً في رحمة الله . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى عن المؤمنين الذين يعملون الصالحات : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [ مريم ٩٦ ] أى : أن الود سيكون مستمراً حتى لمن استمع إلى هذه الآية ثم استشهد . والله سبحانه وتعالى قال لرسوله ﷺ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [ الصفى ٥ ] ولم يقل : يعطيك ربك ؛ لأن العطاء مستمر . وأنت عندما تتهدد أحداً لا تقول له : « أنا أنتقم منك » بل تقول له : « سأنتقم منك » يعنى : الانتقام

مستمر مع الزم . فقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ مَرَحْمُهُمْ  
 اللَّهُ ﴾ تعطى أن صفة الرحمة في الحق جل جلاله أعلى من  
 صفة الرحمة في المخلوق . ذلك لأن التراحم من الحق جل  
 جلاله أعلى من صفة الرحمة في المخوف ، ولتراحم من الخلق  
 تراحم على قدر الأسباب ، وإنما لرحمة من الحق سبحانه  
 وتعالى هي من صفات الكمال التي لا تنهاى ولا تنهى .  
 والرحمة ألا يقع داء ، والشفاء أن يوجد داء فيشفى . ولذلك  
 يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ  
 شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾ [الإسراء ٨٢] فالأشياء يؤديان إلى سلامة المجتمع  
 من الأمراض الاجتماعية التي تشقى الإنسان ، ولكر الشفاء  
 سلامة في أول الأمر والرحمة ممددة لا يئتي بعدها داء أبداً .





## رحمة الله في الدنيا والآخرة

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿عَذَابٌ أُصِيبَ بِهِ مِنْ أَشْيَاءِ  
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْنُسُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ  
النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ .. ﴿١٥٧﴾ [الأعراف] . إن الحق سبحانه وتعالى  
يلفت موسى عليه السلام ويلفتنا جميعاً إلى طلاقة قدرته ،  
فطلاقة قدرة اله بلا قيود وبلا حدود ، ولذلك فعذبه يصيب  
به من يشاء ، فليس الذنب موجباً للعذب إذا تاب المذنب  
وقبل الله توبته وغفر له ، ولذلك فإن الله يتوب على المذنبين  
والعاصين الذين تابوا ورجعوا إلى الطريق المستقيم ، وقوله  
تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي : رحمتي في  
الدنيا أعطيها لطائع والعاصي ، والمؤمن وغير المؤمن ، ولكنها  
خالصة يوم القيامة للمؤمنين ، وهنا قال بعض أحناف اليهود : « ما  
دامت رحمة الله قد وسعت كل شيء ، فإنها تسعنا لأننا شيء »  
نقول : « نعم رحمة الدنيا التي وسعت كل شيء تسعكم » .

ثم قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ  
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ كلمة : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ أثارت جدلاً  
كثيراً فالسین هنا دلت على زمن قادم ، وإذا كانت رحمة الله  
وسعت كل شيء في الدنيا وسيكتبها دليل على أن ذلك في  
الآخرة وطعنا الحق كتبها بالفعل وانتهى ، ولكنها ما زالت غيباً  
بالنسبة لنا. يعود إلى أحبار اليهود قالوا : ما دامت رحمة الله  
وسعت كل شيء وسيكتبها للذين يتقون فنحن متقون . إذن  
ف عندنا كم حالة ؟ الحالة الأولى . أنهم قالوا : نحن شيء  
والرحمة تسعنا ، والرد : الرحمة تسعكم في الدنيا ، فالكل  
فيها ، وفي قوله تعالى : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ قالوا :  
نحن متقون في مهج موسى ، نقول لهم لو كنتم متقين في  
منهج موسى لآتمم محمد الذي نجدونه مكتوباً عندكم في  
التوراة ، لأنه من تعاليم موسى أن تؤمنوا بمحمد عليه الصلاة  
والسلام .



## الهدى والرحمة

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [ الأنعام : ١٥٤ ]  
ما هو الهدى وما هي الرحمة ؟ الهدى : هو الدلالة على  
الغاية ، ولماذا جعل الله لنا دلالة على طريق الإيمان أو على  
الغاية ؟ لو أن المسألة سارت بفطرة الإيمان فآدم تلقى عن ربه  
فبلغ أبنائه ، وأبنائوه أبلغوا أبنائهم ، وهكذا جيل بعد جيل ما  
كانت هناك حاجة للرسالات السماوية ، ولكن مع الزمن بدأ  
الطريق الإيماني يقل ، فهذا خالف وهذا نسى ، وهذا بدل  
وغير ليحقق نفعاً ذاتياً . وكان على كل واحد منا كما يعلم  
أولاده كيف يأكلون وكيف يشربون أن يعلمهم أيضاً أمور  
القيم . ولكن الناس حرصت على الدنيا وغففت عن منحة الله  
فالحق سبحانه وتعالى - رحمة بغفلتنا وسياننا وتديلتنا  
لأحكامه أرسل الرسل هدى جديداً ليذكرنا بمنهجه ،  
ويصحح لنا ما قد حرف ويظهر لنا ما قد أخفى حتى لا تكون  
لنا حجة يوم القيامة في أن أجدادنا وآباءنا هم الذين بدلوا  
وحرفوا ونحن كنا درية من بعدهم فاتبعنا ما بلغوه لنا فكيف

يحاسبها الله بذنوب أجدادنا وآبائنا ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ نَعْدِهِمْ أَفَتُهَيِّبُكُمَا بِمَا فَعَلَ الْمُتَظَلِّونَ ﴾ [الأعراف ١٧٣] <sup>(١)</sup> .

(١) روى أبو داود [٤٧٠٣] وصححه الألباني عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سئل عن هذه الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأعراف ١٧٢] فقال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم مسح ظهره يمينه ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعمنون » فقال رجل : يا رسول الله ، فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » .

وحاء في تفسير الوسيط [٤٢٤/٢-٤٢٦] وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أخذ الله عز وجل الميثاق من طهر آدم بنعمان يعنى عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فشرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً معاينة فقال : أأست بربكم ؟ قالوا : =

- ﴿يَلَّيْ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ تلاها إلى قوله ﴿الْمُتَّبِلُونَ﴾ .

وعنه رضى الله تعالى عنه : « لما حنق الله آدم مسح ظهره فأخرج من ظهره كل نسمه هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : أأست بربكم ؟ قالوا : بلى ، فودى يومئذ أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة » .

قال المفسرون وهذه الآية تذكير بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار إنا عن هذا الميثاق غافلين لم نحفظه ولم نذكره ، وسيبهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أحرز ذلك على لسان صاحب المعجزة ، وإذا صح ذلك يقول الصادق قام فى السموس مقام الذكر ، فالاحتجاج به قائم ، ثم قطع عذر الكفار بقوله ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ، لا يستطيع أحد من الدرية الكافرة أن يقول يوم القيامة : إنما أشرك آبائنا من قس ، ونقصوا العهد ﴿وَكُنَّا دُرِيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاعتذبا بهم ﴿أَفَنُكِّنَا بِمَا فَعَلَ الْمُتَّبِلُونَ﴾ أعتذبا بما فعل المشركون المكذبون بالتوحيد ؟ فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله بأخذ الميثاق بالتوحيد على كل واحد من الدرية .

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ يُلَقَّاهُ رَّبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [ الأنعام ١٥٤ ] لماذا قال الحق سبحانه وتعالى ﴿ لِّعَالَمِهِمْ ﴾ ؛ لأنه إذا كان عدم اتباعهم لتشريعات الله إما عن عدم علم فستتضح في ذهنهم الصورة ، وأنهم ملاقوا الله وما دامت اتضحت في ذهنهم الصورة ، فإنهم سيحسبون لذلك ألف حساب تماماً كالطالب الذى يعرف أنه سيذهب إلى الامتحان ، يكون هذا فى باله كل لحظة فلا ينام ويجهد فى المذاكرة ، أما الذى ليس فى ذهنه الامتحان وليس متنهياً له ، فسيقضى وقته فى اللعب والنوم ؛ إذ إن الغايات تجعل للإنسان يقبل على الوسائل ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ألا من يرى غايته قبل مذهبه ومن أين والعيايت قبل المذاهب  
 يقول له : « ألا من يرى غايته قبل مذهبه » كلام صحيح  
 أما أن « العايات قبل المذاهب » فالله شرع الغايات أولاً ، وبعد ذلك جعل لها السبيل .

ذن .. فاستخدام قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ لِّعَالَمِهِمْ يُلَقَّاهُ رَّبِّهِمْ ﴾ [ الأنعام ١٥٤ ] أى لعل هذه الرسائل السماوية تجعلهم يوقنون بقاء ربهم ، فيعملون لهذا اللقاء ألف حساب .

## الاختلاف والرحمة

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ ﴾ [هود: ١١٨] ولناس هم : هو آدم . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ ﴾ أى : أمة مقهورة مثل باقى أحناس الأرض من الجماد والحيوان والنبات . فوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ ﴾ [إلا من رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسِ وَالنَّاسِ أَمْجَعِينَ ۚ] [هود] أى سيظلون مختلفين ، لأن لهم الاختيار لن يسلبه الله منهم ، وقوله تعالى . ﴿ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۚ ﴾ هل حلفهم للرحمة أو للاختلاف ؟ قلنا : إن ساعة ترى اسم إشارة أو ضميراً عائداً على كلام متقدم ننظر ماذا تقدم ؟ الذى تقدم هو : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ ﴾ [إلا من رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۚ] أى للاختلاف والرحمة للاثنين كيف ؟ الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن خلق الإنسان قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الدريات : ٥٦] .

ومعنى العبادة : صاعة الله فى افعل ولا تفعل ، إذن فمراد الله الشرعى من الخلق هو للعبادة ، ولكن هناك مراد كونى لله سبحانه وتعالى وهو أن يكون الإنسان مختاراً وحدث من الاختيار اختلاف ، والاختلاف ناشئ عن تعدد الأهواء ، فلو أن لنا هوى واحداً كنا لا نختلف ، ولكن نحن نختلف ، لأن لكل واحد ما عرض ، والله تبارك وتعالى يحذرننا من ذلك ، واقرأ قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [المؤمن . ٧١] فلو فعل كل ما ما يشتهيهِ تتصادم الأهواء ، ويفسد العالم إذن فالعالم لا يسنقىم إلا إذا كان خلقه الاختيارية على هوى واحد ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » <sup>(١)</sup> فاتباع المهج وعدم إخضاعه للهوى هو الذى يحفظ حركة الحياة ، على أننا يجب أن نلاحظ أن الأشياء اسى بها حركة الحياة دون التكليف فيها اختيار ،

---

(١) قال الخافظ فى الفتح : أخرجه الحسن بن سميان وغيره ورحاله ثقات ؛ وقد صححه النووى فى آخر الأربعين .



فالعالم لا يستقيم إذا كنا جميعاً صفاً مكرراً ؛ إذ لو كنا كلنا أطباء أو مهندسين أو شعراء فمس الذي يفلح الأرض ؟ ومن الذي يعد الطعام ؟ ومن الذي يصنع لنا ما نحتاج إليه ؟ إذن .. فحركة الحياة لابد أن يكون فيها اختلاف باختلاف مواهب ، واختلاف مواقع ؛ لأن الأمر الذي ليس لى فيه مواهب فأنا محتاح لمن له فيه موهبة ، وعيرى محتاح إلى فيما أنا فيه موهوب ، والعالم يرتبط كنه ببعضه ارتباط حاجة وضرورة ، والاختلاف فى حركة الحياة على هذا النحو هدف من أهداف الشرع ليستقيم هذا الكون .

واقراً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [لحرف. ٣٢] فكان رفع الدرجات ليكون كل ما مسخراً لخدمة الآخر فى كل شئون الحياة ، ولكن الناس لا تنظر إلا للغنى والمقير فقط وهذه نظرة حمقاء ، فالله سبحانه وتعالى لم يبين لنا من هو البعض المرفوع عليه ، ومن هو البعض المرفوع ، فكل إنسان فى جهته مرفوع عليك فيما لا تحسه ، وأنت مرفوع على الناس فى موهبتك .

إذن .. فلا بد أن نختلف من أجل المجتمع ، ولذلك فإنك تجد خواطر الناس تختلف ، كما تظهر نتيجة الثانوية العامة مثلاً ، كل إنسان يريد أن يتوجه وجهة مختلفة ، هذا يريد الطب ، هذا يريد الهندسة وذاك يريد أن يتوجه وجهة مختلفة ، وذلك يريد التجارة كل حسب موهبته ، وكل إنسان معد إعداداً من خائفه ليتفوق في موهبته ويفعل أشياء لا يستطيع أن يتقنها غيره ، فهناك من يتقن نظافة الطريق ومن يتقن حمل الأثقال « عتال مثلاً » ومن يهوى أن يعمل سائقاً ، فحركة الحياة محتاجة لكل هذه المواهب ، والإنسان في مواهبه متكامل ، أى مجموع المواهب عند أحدنا يساوى المجموع عند آخر . فمن أعطاه الله درجة عالية في التجارة مثلاً لا يستطيع أن يصنع شيئاً ، والصانع إذا تاجر أفسس ، لو أنك أعطيت درجات بحيث إن مجموع الإنسان يساوى ١٠/١ فإنك تجد أن درجاتنا جميعاً ١٠/١٠ ولكن هذا يأخذ في العلم ١٠/٧ وباقي الدرجات في المواهب الأخرى ، وهذا يأخذ ١٠/٧ وباقي الدرجات في المواهب الأخرى ، وهذا يأخذ في حياكة

التياب ١٠/٧ ومجموع كل منها في النهاية ١٠/١٠  
فالإنسان الثرى قد تعطل به السيارة ، فيذهب إلى محل  
ميكانيكى مرفوعاً عليه يقول له : أنا مشغول ، فيقول له  
راجعنى بعد يومين أو ثلاثة ، وهذا الذى يرجو ويرجو .  
وتوزيع المواهب فى الكون يجعل الكون يعتدل ، فلا أحد  
يأخذه الغرور بما هو متفوق فيه ؛ لأنه سيجد غيره متفوقاً عليه  
فى أشياء كثيرة ، والله سبحانه وتعالى لا يميز أحداً على أحد .  
فكلنا عبيده وهو ليس له صاحبة ولا ولد ، واختلاف المواهب  
بين الناس فى الكون ليس تمييزاً بين الناس ولكنه تكامل .

وكنا قد تحدثنا عن الساك الذى يصح سد الموقف بالنسبة  
لسكان قصر كبير ملأته مياه الجارى . الله تبارك وتعالى حين  
يقول : ﴿ وَلَا يَرَالُونَ مُحْلَفِينَ ﴾ [مرد ١١٨] لا يعنى أنهم  
مختلفون فى حياتهم فقط ، بل مختلفون فى المنهج ، مختلفون  
فى الإيمان والكفر ، مختلفون فى الطاعة والمعصية . والله  
تبارك وتعالى إذا لم يرد الكفر ما وجد كفر فى كونه ، ولكن  
الكفر لابد أن يوحد يبين لك حلاوة الإيمان ، كما أن الفساد

لا بد أن يوجد ليبيين لك حمال الصراط المستقيم ، ولا بد أن  
تدوق نار الشر لتعرف حلاوة الخير . ولقد قلنا : إن الكفر  
يدعو للإيمان كما أن الألم رسول العافية ؛ لأنه ينهك إلى  
المرض ، فتولا الألم لفضل المرض يأكل حسدك . إذن فالألم هو  
داعى العافية وكل شئ فى الكون له مهمة ، ومن الرحمة أن  
كل شئ فى الكون يؤدي مهمته ، والاختلاف فى المواهب بين  
الناس هو عين الوفاق . ولنفترض أنني اعتدت أن آكل صدر  
دجاجة ، وأنت اعتدت أن تأكل وركها ، هذا خلاف فى  
ظاهره ، ولكنه وفاق فى باطنه ؛ لأن الدجاجة سنكفيا ولن  
نحتلف ، ولو أننا اتفقنا فى أشياء كثيرة لحدث تراحم عليها ،  
والحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ ١٥٨ إِلَّا  
مَنْ رَّجِمَ رَبُّكَ ١٥٩... ﴿ وَإِذَا سَأَلْنَا إِنْسَانًا عَنْ الْخَلْفِ  
لِلْاِخْتِلَافِ أَمْ الْخَلْفَ لِلرَّحْمَةِ ؟ نقول : اختلاف المواهب  
رحمة بالخلق .



## من رحمة الله أن جعل الرسول من البشر

والله سبحانه وتعالى حق للإنسان السموات والأرض وما  
فيهن ، وحسن كل هذه النعم في خدمة الإنسان يتمتع بها قبل  
أن يكلفه الله بتكاليف الإيمان ، إذن فالله سبحانه وتعالى يريد  
الخير والسعادة لخلق من البشر ، والآية الكريمة تقول : ﴿ لَقَدْ  
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [نوه : ١٢٨] أى أن  
الرسول الذى جاء لم يأت من جنس آخر كالملائكة مثلاً ،  
ولكنه بشر رسول ، وما دام الرسول بشراً فإذا قال لكم : افعلوا  
كذا فإنه سيكون أسوة بكم ، أى أول من يفعل ، وما دام  
الرسول بشراً وقد فعل يكون التكليف فى قدرة البشر أن  
يفعلوه ، ولذلك كان من غباء الكافرين أن جعلوا بشرية  
الرسول سبباً لعدم الإيمان مصداقاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا  
مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا  
رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩١] .

ثم يفند الحق سبحانه وتعالى حججهم بأنهم كانوا يريدون ملكاً رسولاً فيقولون جل جلاله : ﴿ وَلَوْ حَصَّنَهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ [ الأنعام ٩ ] أى أن الحق سبحانه وتعالى لو أرسل رسولاً من الملائكة فإن الناس لن تراه ؛ لأنا لا نرى الملائكة ، ولذلك لا بد أن يتشكل فى صورة إنسان بشر حتى يمكنه أن يدعو البشر للإيمان ، فتكون نفس المشكلة قائمة فى أنكم سنروه بشراً والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . فإذا جاء الرسول املك يعلم الناس الدين قالوا : أنت مخلوق على الطاعة ليس لك شهوات ، ونحن مخلوقون على الطاعة والمعصية ، ولنا شهوات نأكل الطعام ونتناسل ، إذن فنحن لا نستطيع أن نفتدى بك لاختلاف طبيعة الخلق ، لقد حثتنا بما لا نقدر على تحمله .

إذن فمن رحمة الله بحلقه أن جاءهم برسول بشر من أنفسهم ، وفى هذه الحالة تكونون أنتم أول أذن تستمع لدعوته ، فتكون معجزة القرآن بلسانكم . إذن فالرحمة لأولى : أنه بشر والرحمة الثانية أنه يأتى بالدعوة بلسانكم والرحمة الثالثة أنه من

قريش ، القبيلة التي لها قرابات في كل مكان ، والرحمة  
 الرابعة : أنه نشأ بينكم تعرفون سلوكه وأمانته ، وأنه لم يكذب  
 عني بشر قط فهل يكذب على الله ؟ إنه رسول إذا قستموه  
 بكل مقاييس البشرية تجدونه أفضلكم في كل حصاله ،  
 ولذلك حينما جاء رسول الله ﷺ بدعوة من الله هل انتظرت  
 خديجة رضي الله عنها أن يأتي لها محمد بمعجزة تثبت صدق  
 بلاغه عن الله ؟ هل انتظر أبو بكر رضي الله عنه أن يأتي له  
 محمد بمعجزة تثبت صدق بلاغه عن الله ؟ أبداً لم يتطرا ؛  
 لأنهما أخذتا المعجزة من تاريخ رسول الله عليه الصلاة والسلام  
 وأمانته وصدقه فيما يقول ، ولدنث عندما قال لهما : إنه  
 رسول الله صدقاه عني لقور ؛ لأنه لم يكذب قط . فكيف  
 يكذب على الله ؟

إن خديجة رضي الله تعالى عنها حينما أخبرها رسول الله ﷺ  
 بما رأى في العار - وخديجة كانت ناضحة الفكر ناصحة  
 التكوين قالت : والله لا يحريث الله أبداً وصدقته . ولقد  
 اختار الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أن يتزوج خديجة رضي  
 الله تعالى عنها وهو في سن الخامسة ولعشرين ، وهي في سن

الأربعين . مع أن المؤلف أن الاسان يحب أن يتزوج ممن هي أصغر منه ، ولكن هدف الزواج لم يكن مجرد متعة ، فلم يكن زواجا عاديا ، بل كان زواجا أعد بقدر الله ليكون سكية لرسوله عليه الصلاة والسلام في الفترة الانتقالية التي سيمر بها من بشرية عادية إلى بشرية تتلقى الوحي من السماء .

هذا التعبير الهائل كان رسول الله ﷺ محتاجا فيه إلى قلب أم ، وصدر أم ، وتفهم أم ، ووعي أم ، تستطيع أن تعالج الموقف بحكمة السنوات ، والنضوج العقلي الذي كان لازما خلال هذه المرحلة .

ولو كانت حديجة فتاة صغيرة طائشة لهربت من أول يوم عاد فيه رسول الله ﷺ من العار وهو يرتجف ، لهربت أو اتهمته اتهامات شتى ؛ ذلك أن عقلها لم يكن في هذه الحالة يمكن أن يستوعب تلك التجربة الهائلة التي يمر بها أشرف خلق الله من البشرية العادية إلى البشرية التي تختلط بالملائكة ، وتتلقى عن الله بواسطة الملك ، ولذلك عندما قال لها رسول الله ﷺ بعد أن رأى حبريل في الغار : إني أخاف أن يكون الذي يأتيني رقيب من الجن قالت : إنك لتصل الرحم



وتكسب لعدم وتعين على نوائب الحق ، ولله لا يحزبك الله  
أبداً . وكان لابد لكى تقون حديجة هذا الكلام وتكون صدرأ  
حنواً لرسول الله ﷺ أن تكون ناضجة العقل والفكر قد  
صقلتها السنون ، تملك العقل الواسع الذى يستطيع أن يميز وأن  
يختار ، لا يكون فيها طيش شاب ، ولا رعونة فتاة صغيرة قد  
تهرها الأحداث فتجعلها تنهار تماماً فى هذه الفترة الحرجة من  
حياة رسول الله ﷺ وكان يتعين أيضاً أن يكون هذا هو رأى  
قريش وأهل مكة ، وقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ  
اللَّهِ ... ﴾ [ الفتح : ٢٩٠ ] فمحمد : مبتدأ ورسول الله : خبر  
محمد ، ابتداءً كان فيكم الصادق الأمين الذى نربى على عين الله  
وأراد الله أن يحفظه فيكم صغيراً وكبيراً حتى قيل : إبه كلما هم  
عمل كحمل أحجار الكعبة عند اسناء مثل أقرانه وكانت تظهر  
عوراتهم عند رفع الثياب ، كان يأتى لمحمد صوت يبهه إلى  
ذلك فيقول : يا محمد : عورتك عورتك ، وكانت فيه تلك  
الصفات التى عددها سيدتنا حديجة ، وهذا كما قمنا ابتداء ؛  
لذا كان يتعين أن تصدقوه فى خبر اسماء بأنه رسول الله .

ومن رحمة الله أن يجعل رسوله صلوات الله عليه  
بالمؤمنين رؤفاً رحيماً

يقول الحق سبحانه وتعالى مخبراً عنه صلوات الله عليه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة ١٢٨]  
ها نجد كلمة الرأفة والرحمة من جاب النبي صلوات الله عليه جاءت للمؤمنين فقط ، أما الأوصاف الأولى فقد شملت الجميع .  
لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى في آية أخرى : ﴿ وَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف ٦] أي . إنك حزين ومهموم بسبب أنهم لم يؤمنوا ، مع أنه لن يتالك شيء فأنت ليس عليك إلا البلاغ فقط ، وقد بلغت فلماذا تحزن عليهم ؟ فالنبي صلوات الله عليه لم يكن حزيناً منهم ولكنه كان حزيناً من أجلهم ومشفقاً عليهم ؛ لأنه صلوات الله عليه رحمة مهداة للعالمين فكان حريصاً على أن يرى قومه مؤمنين ؛ لأنه لحيه لقومه وعشيرته كان يريد لهم أن يذوقوا حلاوة الإيمان ، ويسعدوا بالحياة في ظل مهج السماء ،

ولذلك يقول سبحانه في آية أخرى. ﴿لَعَلَّكَ بَمِجْنِ النَّفْسِكَ الْإِلَٰهَ  
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝﴾ إِنَّ قُتُلًا نُّزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ  
لَهَا خَاضِعِينَ ۝﴾ [الشعراء] أى : لا تفهم أن إيمانهم صعب  
علينا ، فلو أردناهم مؤمنين لآموا في الحال ؛ لكن حكمة الله  
اقتضت ألا يقهر أحداً على الإيمان ؛ لأن الإيمان يأتي بقلوب ،  
والقهر يأتي بقوالب ، والله يريد أن يأتيه الناس مختارين وعن  
حب لا عن قهر ؛ لأن القهر من الظاهر يثبت له قدرة ولكن لا  
يثبت له محبوبة .

والله سبحانه وتعالى يريد أن يكون الإيمان نابعاً من محبوبة  
العابد للمعبود ، من أجل ذلك كله فلا تحزن أو تتعب نفسك  
من أجلهم ؛ لأن الرسول ﷺ كان يكف نفسه الصعب في  
سبيل نشر الدعوة وزيادة أتباع الدين الحنيف ، ولذلك حينما  
جاءه رجل مؤمن هو عبد الله بن أم مكتوم يسأله عن قصيدة  
الإيمان هذا رجل مؤمن لن يكفه مشقة في الحوار أو الجدل ؛  
لأنه مؤمن نجد الرسول ﷺ ينوي عنه قلبه ويشغل بمحاورة  
صناديد قريش المعاندين المكابرين لأنه يؤثر جانب المشقة على

نفسه ولذلك عتب عليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ ۖ﴾  
 أَنْ جَاءَهُ الْأَعْنَى ﴿١٠﴾ [عس] فكأن الله سبحانه وتعالى يقول له :  
 لماذا تتعب نفسك مع هؤلاء المعاندين إياهم لا يستحقون ذلك ،  
 أتترك السهول « ابن أم مكتوم » وتذهب للمشقة ؟ (١) وذلك  
 مثلما يكون عندك ابن في المدرسة ، وظل يذاكر عدة ساعات  
 حتى غلبه لنوم ، ولكنه يقوم اليوم حتى يسقط الكتاب من  
 يده عدة مرات ، فتقوم أنت وتأخذ منه الكتاب وتأمره بأن ينام  
 ليستريح ، فأنت لم تنهره عن المداكرة في حد ذاتها ، ولكنك  
 لا تريده أن يرهق نفسه فيمرص .

فكذلك ربنا سبحانه ولله المثل الأعلى . لا يريد لرسوله ﷺ  
 أن يتعب نفسه مع هؤلاء الكافرين المعاندين ، وينبئه إلى توحيه  
 هذا الجهد وهذا العطف والحنان الموجه إني غير مستحقه إلى  
 المستحقين من المؤمنين ، وذلك بخفض جناحه لهم ؛ حيث يقول  
 سبحانه وتعالى : ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] لأن  
 كل حركة نزوعية من الإنسان تحتاج إلى عملية وجدانية أولاً ،  
 فإذا أردت مثلاً أن تكرم إنساناً تأتي صورة الإكرام في ذهنك

ثم تقوم بتنفيذها بعد ذلك إذن فكل حركة يصنعها الإنسان بروعاً تحتاج إلى طاقة داخلية تهيب لها وتدفعها ، فإذا كان الرسول ﷺ سيعزون على هؤلاء ، فهذا اخرون سيأخذ منه طاقة ، فقال له سبحانه وتعالى : وقر هذه الطاقة من عند هؤلاء الذين لا يستحقونها وحبها لمن يستحقها بل وجهها خفض جناح ، فالرسول ﷺ الذي جاء ليأخذ بيدنا إلى نور الهداية وإلى طريق الجنة هو الذي يخفض الجناح . انظر للحنان والعطف بين المؤمنين فهو لم يجعلك فقط تتوجه بقلبك ، عني استقامة قالبك لا بل جعلك تحفض القلب أيضاً .

وكلمة « خفض الجناح » مأخوذة من خفض جناح الطائر ، فهو يرفع جناحه عندما يطير ، لكن عندما يحنو على فرجه الصغير يخفض جناحه ويلويه عليه عطماً وحناناً ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ جَآحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر - ٨٨] يدل على أن الرسائل ما جاءت لتعالى الرسول على المرسل إليهم ، إنما جاءت لخدمتهم ، ولذلك تجد أقارب النبي ﷺ يحرمون من الأشياء الواجبة لغيرهم ، فأقارب النبي الفقراء لا نعطيهم زكاة ؛ لأن المسألة ليست مسألة قرابة ، حيث كان القريب هو الذي

يشقى ويتعب وهو الذى يدفع الشمس إنما الآن يجد القريب الآن  
هو الذى يأخذ أولاً لأنه قريب مستول أو غيره ويخفض الجناح  
لمن آمن لا يورثه كبراً عليك بل يريد أدياً معك فالمؤمن إذا  
رأى أخاه خفض له الجناح فلا يقابله بالكبر ولو قابله بالكبر  
فستكون استجابة عكسية ولذلك يقولون. « إذا عز أحوك فهن »  
ولذلك قال الشاعر العربى حتى قبل ظهور الإسلام :

صفحنا عن بى ذهل	وقلنا القوم إحوانُ
عسى الأيام أن يرجع	من قوماً كالذى كانوا
فلما صرَّح الشُّرُّ	وأمسى وهو عريانُ
مشياً مشية الليث	عدا والليث عضبانُ
بضرب فيه توهين	وإضعاف وإقرانُ
وطعن كفم الرُّقْ	غدا والزُّقْ ملانُ
وبعض الحلم عند الجهد	من للدلة إذعانُ
وفى الشر نجاة حي	من لا يحبك إحسانُ

فأنا أخفض حماحى للمؤمن الذى ساعة أخفض له حناحى  
يخفض لى الجاحين .

(١) مجمع الأمثال للميداني ؛ الجزء الأول فيما أوله همزة .

ولذلك فالقرآن حينما يطبع خلق المؤمن بالله وبالمهج ولا يعطيه طبعاً واحداً يتعامل به مع كل الناس ، إنما يجعل طبعه الخلقى مطابقاً لمواقف الناس منه ، ولذلك يقول الحق وتعالى:

﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سائدة ٥٤٠] ويقول أيضاً . ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [نوح . ٢٩]

فالإسلام لم يطبع المؤمن على الشدة ولا على لعزة لأنه لو طبعه على الشدة لاشتد حتى على من كان معه من المؤمنين ولو طبعه على العزة لاعتز على المؤمن ، ولكنه يريد إنساناً يتفاعل مع المواقف ، فالموقف الذى يحتاج إلى شدة يشتد فيه والموقف الذى يحتاج إلى اللين يلين فيه ، أى يضع الشئ فى موضعه .



## سعة رحمة الله تعالى

أخرج مسلم [١٤/٢٧٥١] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، أن نبي الله ﷺ قال . « لما خلق الله الخلق ، كتب فى كتاب ، فهو عنده فوق لعرش : إِنْ رَحِمْتِي تَعْلِبْ غَضَبِي »<sup>(١)</sup> .  
وعنده [١٧/٢٧٥٢] عنه رضى الله تعالى عنه قال  
سمعت رسول الله ﷺ يقول . « جعل الله ارحمة مائة خُزْءٍ ، فأَمْسَكَ عنده تسعة وتسعين ، وأنزل فى الأرض جُزْءًا واحدًا . فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تُصيبه »<sup>(٢)</sup> .

وعنده [٢٢/٢٧٥٤] عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ؛ أنه قال : قُدِّمَ على رسول الله ﷺ بسبى ، فإذا امرأة من السبي تبتغى ، إذا وجدت صبيًّا فى السبي ، أخذته فألصقته

(١) ووافقه البخارى [٣١٩٤] . وابن ماجه [٤٢٩٥] .

(٢) ورواه ابن ماجه [٤٢٩٣] .



بيطنها وأرضعته . فقال لنا رسول الله ﷺ : « أَتَرَوْنَ هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ » قلنا : لا . والله ! وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال رسول الله ﷺ : « لله أرحم بعباده من هذه برلدها » (١) .

وعنده [٢٤/٢٧٥٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله : إذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر ، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذابا لا يُعذبه أحدًا من العالمين ، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم ، فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، ثم قال : لم فعلت هذا ؟ قال : من خشيتك يا رب ! وأنت أعلم ، ففقر الله له » (٢) .

---

(١) ووافقه البخاري [٥٩٩٩] .

(٢) ووافقه البخاري [٧٥٠٦] وقال الإمام النووي في تعليقه على هذه الأحاديث : هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين .

= قال العلماء : لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار - المبنية على الأكدار - بالإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به ، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء .  
شرح النووي على مسلم [٨٤/٩] .

قلت : على المسلم أن يضم إلى ذلك حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، الذي أخرجه مسلم [١٣٥/٢٦١٩] ، ولفظه : « أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت امرأة النار من جراء هرة ، أو هر ربطتها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي أرسلتها ترمم من خشاش الأرض ، حتى ماتت هزلاً » . ليجمع الخوف والرجاء .

وهذا معنى كلام ابن شهاب الزهري : « ذلك لئلا يتكل رجل ، ولا يئس رجل » .

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر .....	٣
التوبة ضرورة لحركة الحياة .....	٢١
الله تعالى يفرح بتوبة عبده .....	٢٥
أنواع التوبة .....	٢٧
شروط التوبة .....	٢٩
حقائق التوبة .....	٣٦
علامات صحة التوبة .....	٣٩
جزاء المعرض عن التوبة .....	٤٣
الاستعانة بالصبر والصلاة .....	٤٥
الصلاة .. وتكفير الذنوب .....	٧٠
الصلاة تُفرج الهموم .....	٧٤
الكسل عن الصلاة علامة من علامات النفاق .....	٩١

صفة صلاة النبي ﷺ	
من التكبير حتى التسليم كأنك تراها	٩٥
رحمة الله تعالى بعباده	١٢٤
التعلق برحمة الله	١٢٧
صفة الرحمة	١٣٥
رحمة الله في الدنيا والآخرة	١٣٧
الهدى والرحمة	١٣٩
الاختلاف والرحمة	١٤٣
من رحمة الله أن جعل الرسول من البشر	١٤٩
ومن رحمة الله أن يجعل رسوله ﷺ	
بالمؤمنين رؤفاً رحيماً	١٥٤
سعة رحمة الله تعالى	١٦٠
الفهرس	١٦٣

